

أرسيث لوبيث

الغرفة الصفراء



مغامرات "أرسين لوبين"

● نو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحللها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس، وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصص بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء والصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة.

ثمن النسخة

CanadA	5\$	ج ٣	مصر	٧٥٠ف	الكويت	٢٠٠٠ل	لبنان
U.K	1.5	د ١٠	المغرب	١٠ د	الإمارات	٧٥ ل	سوريا
France	15F.F	د ١	ليبيا	١ د	البحرين	١ د	الأردن
Greece	1200Drs.	د ١٠٥	تونس	١٠ ر	قطر	٥٠	العراق
CYPRUS	1.5 P.	ر ٧٥	اليمن	١ د	مسقط	٦ ر	السعودية

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعربة

الغرفة الصفراء

(٤٧)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوين"

الناشر

دارميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٢٠٠٠ م

ص.ب ٣٧٤ جونية - لبنان

تلفون : 00 961 9 902 131

فاكس : 00 961 9 902 939

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي جزء أو قسم من هذا الكتاب

وبأية وسيلة إلا بعد الحصول علي موافقة خطية من الناشر .

الفصل الأول

الغرفة الصفراء

طوى الرجل الجريدة ووضعتها أمامه ونظر إلى المائدة المجاورة ولم يتمالك نفسه من الابتسام .

كانت الفتاة التي جلست إلى تلك المائدة تحاول التفاهم مع خادم المطعم ، والخادم لا يستطيع أن يفهم عباراتها الفرنسية السقيمة التي كانت تنطق بها بلكنة أجنبية .

واحست الفتاة بعجزها ونظرت حولها وفي عينيها مزيج من اليأس والحرص ، وتعلقت عيناها بعيني الرجل لحظة ، وأحس الرجل بأنها تستنجد به وتدعوه إلى التدخل . وكان قد فهم غرضها فالتفت إلى الخادم وقال له بالفرنسية في هدوء ولكن بلهجة حاسمة :

- اصغ إلي يا هذا ، إن الأنسة تطلب شرابا جيدا مع قطعة رقيقة من قشر الليمون .

فأحنى الخادم قامته وانصرف لتلبية الطلب واشعل الرجل لفافة تبغ وراح يدخن في لذة وارتياح كأنما لا يوجد في الدنيا ما يشغله غير جارته الحسنة التي جعل ينظر إليها خلسة بجانب عينه .

وبعد قليل عاد الخادم ووضع أمام الفتاة قدحا فتناولته ورفعته إلى فمها في حذر وتذوقته في ببطء وقلبت شفيتها باشمئزاز ولم يتمالك الرجل نفسه من الابتسام فقالت له الفتاة بالإنجليزية :

- ليتني كنت أتكلم الفرنسية كما تتكلمها لكي أقول لهذا الخادم كلاما لا يسره .

فاجاب الرجل :

- إن خدم المطاعم والفنادق قلما يأتونك بما تريدين ، باستثناء خدم المطاعم في انجلترا وأمريكا .

ثم استطرد بعد صمت قصير :

هل تجددين صعوبة في التفاهم مع أهل باريس ؟

فاجابت ضاحكة :

- إنك رايت بنفسك مثلا من امثلة هذا التفاهم ، ولكنني لاحظ انك تتكلم الإنجليزية بطلاقة ، فهل انت فرنسي ؟
- نعم ، ولكنني اعتبر نفسي رجلا دوليا اتكلم بضع لغات كما يتكلمها اهلها .

- هل ذهبت إلى انجلترا او امريكا ؟
فابتسم الرجل واجاب في شيء من الاسى :
- ليتني اعرف مكانا لم اذهب إليه .
فنظرت إليه طويلا في فضول والتقت عيونهما مرة اخرى .
قالت فجأة :

- حدثني ايها الغريب ، أين تستطيع فتاة ان تقضي سهرة ممتعة ، فتاة توشك ان تقدم على مغامرة . فإذا فشلت فلن يكون في مقدورها بعد ذلك ان تختار المكان الذي تذهب إليه ، هل فهمتني ؟ أريد سهرة من نوع يترك في النفس أثرا لا يمحي .
فصعدها الرجل بعينه وفكر لحظة ثم اجاب :

- إن باريس كلها تحت تصرفك ، فهل تريد قضاء السهرة في احد المنتديات الليلية المحترمة ، ام في أحد الصالونات غير المحترمة ؟؟
- ايهما تفضل ؟

- أنا شخصا اقترح قضاء سهرة شاعرية في مطعم هادئ بشارع (سان لورانس) اشتهر باطعمته الإنجليزية الشهية ، وبعد ذلك نرى ما سوف يكون .

- وأنا قبلت اقترارك ايها الغريب .
ودعا الرجل الخادم ونقده الحساب بينما حملت الفتاة حقيبتها وقفازا وانصرف الاثنان معا ، واستقلا سيارة اجرة كانت بالبواب .
قالت الفتاة :

- إن لدي فسحة من الوقت حتى منتصف الليل ايها الغريب .
وخلعت قبعتها واسندت قدميها الصغيرتين على المقعد المقابل ، وسقط ضوء مصابيح الشوارع على وجهها ، وراها الرجل بكل فتنتها وجمال طلعتها .
سأله :

- وبعد منتصف الليل .. الا تتركين لي فردة حذاء على سبيل

الذكرى ..

- بل سترك لك الحذاء كله .. لأن هناك منزلا يجب أن اسطو عليه .
وتناولوا معا عشاء شهيا اعترفت الفتاة بانها لم تتذوق في باريس
طعاما في جودته ولذته . ثم قبلت من الرجل لفافة تبغ اشعلتها بعود
الثقاب الذي قدمه إليها ، ونظرت إلى مضيفها في شيء كثير من عدم
الكلفة ، على نحو ما يحدث بين شخصين استمتعا باكلة واحدة .
قالت :

يسرنى اننى قابلتك ايها الغريب . فانت إنسان تقابل الأمور في
هدوء ولا تلقي أسئلة محرجة .
فابتسم الرجل . لقد تعود أن يسمع عن نفسه إطراء من هذا الطراز .
اجاب :

- إننا معشر اللصوص قلما نفقد هدوء اعصابنا واتزان تفكيرنا ،
أما عن الأسئلة المحرجة فهذه يمكن إلقاء الكثير منها فيما بعد .
فارسلت من فمها خيطا رفيعا من الدخان راحت ترقبه وهو يتصاعد
نحو السقف ثم قالت في هدوء :

- ساتحدث إليك في صراحة أيها الغريب ، إن النساء يحبن
الثروة، وما ألد الثثرة في ليلة كهذه يبدو كل شيء فيها كأنه حلم ،
إننا لم نلتق قبل الآن ، وقد لا نلتقي أبدا بعد ذلك فهذا اللقاء من النوع
الذي ليس له ما وراءه إلا الذكرى .

- ومن هذا الوحش الذي ستفتكين به الليلة ؟

- إنه أحد الذئاب التي يراها المجتمع في ثياب الحملان ، هل
سمعت عن "بيرت نورثويد" ؟

نعم ، إن الرجل الغريب قد سمع عن "بيرت نورثويد" ، بل ويعرف
الكثير عنه وعن أمثاله ممن أثروا خلال الحرب بوسائل ملتوية ، إنه
يعرف أن "نورثويد" جمع ثروة طائلة من توريد الأحذية لجنود
الحلفاء بثلاثة أمثال ثمنها الحقيقي وأنه أصبح بفضل هذه (الخدمة
الوطنية) من كبار الأغنياء ، ولا تزال فروع مؤسسته تعمل في جميع
العواصم الأوروبية والأمريكية أما الرجل نفسه فإنه تقاعد وترك
الإشراف على أعماله الكثيرة للعنصر النسائي في أسرته لأن الأسرة

خلت من الذكور .

اجاب الرجل :

- نعم ، إنني سمعت عن " نورثويد " إنه أحد رواد الصناعة في العالم .

فقال الفتاة :

- وهو كذلك عمي ، وأنا ادعى " إميلي نورثويد "

وحمد الرجل الله على أنه لم يصارح زميلته برأيه الشخصي في "بيرت نورثويد" وهو رأي ما كان ليكتمه لو أن هذا الأخير كان موجودا .

قال ببرود :

- إنني أرثي لك يا أنسة .

فقالت :

- إن أبي أستاذ للهندسة في جامعة (تورنتو) بكندا ، ومن المؤكد أنك لم تسمع عنه قبل الآن ، ولكني أعتقد أن الله لم يخلق أخوين يختلف كل منهما عن الآخر كما يختلف أبي عن أخيه ، كان كل هم عمي أن يبحث عن النقود ويخترنها ، أما أبي فلم يكن كذلك قط . إنه رجل هادئ كريم لا يختلف عن أي إنسان عادي ، وهو خارج عمله أشبه بالأطفال سذاجة ووداعة ، وقد بدا كلاهما من الحضيض وحقق كل منهما أهدافه ، فجمع عمي ثروة طائلة ، وأتم أبي دراسته والتحق بجامعة (تورنتو) وحصل على درجة جامعية ، ووصل إلى مركزه العلمي الحالي ثم جاءت أمي ففرقت بين الرجلين . كان عمي يريد لها زوجة له ، ولكنها اختارت أبي زوجا لها .

فهز الرجل رأسه في صمت واستطردت الفتاة :

- لم يكن لأبي ذنب في ذلك ، ولكن عمي لم يغفر له قط ، ولا أظن أنه غار من أبي أو أنه كان يحب أمي حقيقة ، وأعتقد أن سبب حنقه وغيبظه أنه اصطدم لأول مرة في حياته بشيء لا يمكن شراؤه بالمال ، فخدش ذلك كبريائه وأثار ضغينته .

ومهما يكن من أمر فإنه لم يفصح عما يعتمل في نفسه ، وظل يتظاهر بالحب والعطف ولم يرتب أبي من ناحيته في شيء ، ولكني

كنت أرى والاحظ وكثيرا ما حاولت أن الفت نظر أبي إلى أن اخاه لا يضم له خيرا . ولكنه كان يرفض الإصغاء إلي ، بل وأكثر من ذلك أنه ساعد 'بيرت' على مضاعفة ثروته ، لأنه مخترع بارع وقد صنع لعمي خلال الحرب آلات تنتج ضعف كمية الأحذية بنصف التكاليف ، وأظن أن عمي كافاه على ذلك بأن أعطاه مائة دولار .

وهنا ابترسمت الفتاة واستطردت :

- لقد بدأت القضية تبدو كإحدى الروايات البوليسية . اليس كذلك؟

- إنني أحب هذا النوع من القصص .

ازدردت الفتاة ما كان في قدحها من شراب وقالت :

- ومع ذلك فإنها قصة لها مثيلات في كل يوم . لقد شرع أبي منذ عامين في ابتكار جهاز للسيارات ينقل سرعاتها بطريقة آلية ، هل تفهم ما أعني ؟ إنه جهاز يساعدك على قيادة السيارة دون أن تستخدم أي شيء آخر غير (الفرامل) ، جهاز ينسق سرعة السيارة في الطرق المرتفعة والمنحدر ووسط الزحام دون أن تحرك ساكنا ، وإنه موضوع فني لا ضرورة الآن للإفاضة في وصفه وشرحه وبحسبي أن أقول لك إنه سيحدث انقلاباً خطيرا في صناعة السيارات ، وأنه يساوي ثروة ضخمة ، وقد أنفق أبي في سبيل صنعه وتحسينه كل ما ادخره طيلة حياته وأحس منذ ثلاثة أشهر بأنه لا يملك ما يساعده على الاستمرار للوصول باختراعه إلى أقصى حالات الدقة والإتقان فلجا إلى عمي 'بيرت' يطلب المساعدة .

وصمتت الفتاة ، وكان الرجل يصغي إليها بانتباه ، وعقله يعمل بسرعة ، فارسل من فمه سحابة من الدخان ، نظر من خلالها بإمعان إلى وجه الفتاة نظرة صريحة فاحصة نافذة وقال :

- وقد ساعده 'نورثويد' بالتأكيد .

- إن عمي أقرضه خمسة آلاف دولار بضمان اسمي ... أو هكذا قال له ، ضمان اسمي لا أهمية له ، هو عبارة عن طائفة من الوثائق وقعها أبي للشكليات فحسب ، وأظنك أدركت معنى هذا .
- أظن ذلك .

- إن تصميم الاختراع موجود الآن في خزانة عمي بقصره في (سان كلو) وهذا التصميم هو عصارة ذهن أبي ، وخلاصة تفكيره وعلومه وجهوده منذ عشرات السنين . وتوجد مع التصميم في الخزانة ورقة بخط أبي تقول : إن الاختراع أصبح ملكا لعمي ، وله كل امتيازاته ومن حقه أن يستغله على الوجه الذي يريده ولم يقيد هذا الحق بحد أو تاريخ ، وكان المفروض أن ينتهي حق عمي في الامتياز في الموعد الذي يتم فيه سداد القرض ، ولكن الورقة لم يذكر بها شيء من ذلك . لأن أبي رجل طيب القلب ، لا يعرف الخدع القانونية ، وقد وقع هذه الورقة في غيابة فلم أعرف بامرأها إلا بعد فوات الأوان . فقال الرجل في هدوء :

- هل أفهم من ذلك أن قصر عمك في (سان كلو) هو المكان الذي تريدون السطو عليه الليلة ؟

فنظرت إليه بإمعان ، دون أن يهتز لها هذب ، نظرة صريحة تنم عن العزم وقالت في هدوء :

- اصغ إلي أيها الغريب ، ساذل أزعم أن هذه الليلة كلها حلم من الأحلام وأن ما دار بيني وبينك هو جزء من هذا الحلم الممتع ، ولولا ذلك ما صارحتك بكل هذا ، نعم ، إنني ساسطو الليلة على قصر عمي إذا استطعت ، وسأحاول الاستيلاء على مفاتيحه وفتح خزانته وسرقة تصميم الاختراع والوثيقة التي وقعها أبي ، إذ لا أمل في أن يتمكن أبي من سداد القرض ، وعمي يعلم ذلك ، وقد اتخذ فعلا كافة الإجراءات اللازمة لبيع الاختراع لشركة السيارات (فورد) ولا توجد أية وسيلة قانونية لمنعه من عقد هذه الصفقة ، إنها قضية من القضايا التي يمنح فيها القانون تسعة أعشار ملكية الشيء لحائزه ، فإذا استرددنا العقد والتصميم فلن يجزئ عمي "ببرت" على رفع الأمر للقضاء وعرض تفاصيل الصفقة علانية ، لأنها صفقة مخزية له ، ويجب عليه أن يبسطها أمام القضاء إذا أراد المطالبة بشيء ، فهل ترى فيما اعترضت خروجاً على الصواب والمنطق؟

- إلى حد ما .

فقالته وهي تحرك الكاس بين أناملها :

- ربما ، ولكن حدثني أيها الغريب ، هل سمعت عن شخص يدعى

لوبيين ؟

- فاجاب الرجل في بساطة :

- " ارسين لوبيين " ومن ذا الذي لم يسمع عنه ؟

- "إنني قرأت وسمعت عنه الكثير واحسب أنه الوحيد الذي يستطيع القيام بهذه المغامرة . إنها مغامرة عادلة رغم ما تنطوي عليه من خروج على القانون ، فليتنى أستطيع مقابلته ، فإن مثله خير من يفهم هذا الموقف على حقيقته .. أنت كذلك إنسان حسن الإدراك أيها الغريب ، وقد أصغيت إلي في صبر وأناة وقد رفه ذلك عني وساعدني على المضي في سرد قصتي إلى النهاية ، والآن أرجو أن تنسى أو تتناسى كل ما سمعت ولنتحدث في شيء آخر .. أي شيء آخر يروقك .

فملا الرجل قدحه ورفعه في يده ، وقال وقد اشرق وجهه فجأة :

- لا اظن أنني سانسى أو اتناسى يا "إميلي" أنا "أرسين لوبيين" ، ولم تخلق بعد الخزانة التي أعجز عن فتحها وسنذهب معا إلى (سان كلو) .

قالت الفتاة :

- هو ذا القصر .

وأوقف "لوبيين" السيارة . كانت سيارتها وقد تركته يقودها .

ووجد "لوبيين" نفسه امام قصر فخم مشيد على الطراز النابليوني فوق اكمة بعيدة عن الطريق وتحيط به حديقة مترامية الاطراف .

غادر السيارة ووقف يتأمل القصر وخيل إليه بعد قليل أنه يعرف كل ركن فيه كما لو كان قد اقام به عدة اعوام إذ نقلت إليه الفتاة - بوصف مسهب - مداخل القصر ومنافذه وقاعاته واروقته ، ورسمت له على ورقة في المطعم وهما يتناولان اقداح القهوة صورة صحيحة عن مواقع الغرف ومكان الخزانة من الغرفة التي يدعوها معها (الغرفة الصفراء) .

وكان الليل قد انتصف أو كاد ، والسماء مظلمة لا قمر فيها ولا نجوم ، كانت ليلة صالحة للمغامرة من جميع الوجوه .

قالت الفتاة :

- "إنني لا أزال أجهل لماذا تتكلف هذا العناء وتجازف من أجلي ؟

فاجاب :

- لأنني احب هذا النوع من المغامرات . إن لي رأيا خاصا في تورثويد . وكنت اتوق إلى مثل هذه الفرصة منذ وقت طويل ، ولو قد سمعت بقصتك وأنا على بعد مئات الكيلومترات لما ترددت في القدوم .

- ألا ترى من الاوفق ان ارافك ؟

فاجاب وهو يتنسم الهواء النقي ملء رئتيه :

- هذه مهنتي وأنا ادرى بها منك .

- ولكن هب ان عمي استيقظ من نومه ؟

- ساعرف في هذه الحالة كيف اجعله يعود إلى النوم .

- وإذا فاجاك الخدم ؟

- اشد وثاقهم واقذف بهم من النوافذ .

- ولكن هب انه قبض عليك ؟

فاجاب ضاحكا :

- في هذه الحالة يكون العالم قد قرب من نهايته ، ولكن لا تقلقي . وعلى فرض وقوع هذا فلا بد من حدوث ضجة تبلغ إلى مسامعك وتنبهك إلى الخطر وعندئذ يتعين عليك ان تهربي بالسيارة إلى باريس، وتنتظري النتيجة هناك ، إنها اصبحت مغامرتي .. لا مغامرتك .

قال ذلك ومشى إلى سور القصر بسرعة القط وخفته .

لم ير نورا في النوافذ ولكنه دار بالقصر ليكون على يقين .

وكانت عيناه قد الفتا الظلام فلم يحدث اية حركة تنم عن وجوده .

وما هي إلا دقائق حتى كان قد وثب فوق السور واجتاز الحديقة ووقف أمام الباب الداخلي .

كان بابا ضخما من الخشب السميك فلم يكلف "لوبين" نفسه عناء معالجته واستقرت عيناه على نافذة في الطابق الأرضي ، كان فتحها بالنسبة إليه لعب اطفال .

وما هي إلا لحظة حتى فتحت النافذة فوثب منها إلى الداخل ووجد نفسه في مطبخ القصر فاضاء مصباحه واجال الطرف حوله ووقع بصره على لوحة المفاتيح الكهربائية التي تتحكم في إنارة القصر ، رآها في نفس المكان الذي ذكرته "إميلي" فسار إليها وانتزع المفاتيح

وقطع تيار الإضاءة واحس بالطمأنينة .

وإذا احس به اهل القصر فإنهم سوف يتخبطون في الظلام ويتعذر عليهم مطاربته .

ثم سار إلى صالة القصر ورفع مزاليج الباب الكبير .

لقد كان يدين بحريته لبعد نظره وحرصه دائما على إعداد منفذ او منفذين للإفلات إذا تخرجت الامور وحدث ما لم يكن في الحسبان .

ثم قصد بعد ذلك إلى (الغرفة الصفراء) في المكان الذي وصفته إميلي . واهتم بفتح نافذتها قبل اهتمامه بالبحث عن الخزانة .

لقد قالت له " إميلي " إن الخزانة موجودة داخل الجدار وراء احد دوالب الكتب فإذا فتح باب الدولاب ظهرت الخزانة .

وقد وجد الخزانة حيث وصفتها " إميلي " ، وما إن سقط عليها ضوء مصباحه الكهربائي حتى ادرك أنها ليست من النوع الذي يفتح بسهولة . لم يتعود "لوبين" أن يحمل ادوات العمل ، ولا أن يحشو جيوبه - كما يفعل بعض المبتدئين - بالمواد الحارقة او النافسة او بأجهزة إذابة الفولاذ . فصاح عزمه على فتح الخزانة بمفتاحها فتسلل إلى خارج الغرفة وصعد السلم بخطى لا تسمع وقصد إلى حيث يوجد مخدع " نورثويد " .

وكان " نورثويد " مستغرقا في نومه وهو يغط بصوت مسموع ، ولو أنه كان مستيقظا لما سمع حركة فتح الباب او وقع خطى "لوبين" وهو يتسلل إلى الداخل ثم وهو يتناول حزمة المفاتيح من درج المائدة الصغيرة المجاورة للفراش او وهو ينتزع من حول عنقه سلسلة ذهبية يتدلى منها مفتاح قد يكون هو مفتاح الخزانة .

وهبط "لوبين" درج السلم كأنه شبح ، وعاد إلى الغرفة الصفراء وسلط نور مصباحه على باب الخزانة واختار من بين المفاتيح واحدا رجح أنه المفتاح المطلوب .

وما إن وضع المفتاح في قفل الخزانة واداره حتى فتح بها بحركة انحلت السرور إلى قلبه فمد يده المقفزة وفتح درجا كبيرا في قاع الخزانة ووجد حزمة من الاوراق مربوطة بخيط وقد كتب على ظاهرها بحروف كبيرة (جهاز القيادة الاوتوماتيكي) .

وقطع "لوبيين" الخيط وبسط الأوراق بين يديه فرأى الرسوم والتصميم ووثيقة قانونية ورسائل من بعض مصانع السيارات في أمريكا .

وقضى "لوبيين" الدقائق العشر التالية في عمل غامض استغرق كل تفكيره وعنايته فلم ينتبه إلى حركة خافتة مهمة كان من الممكن أن تلتقطها أذناه الحساستان لولا انشغاله بالذي بين يديه .

على أنه لم يلبث أن شعر بالخطر حين سمع وقع أقدام تتحرك بحذر إلى الشرفة الملحقة بالغرفة ، واقتربت هذه الحركة بلمسات خشنة ، وكان ذلك كله مفاجأة له فرفع رأسه وأجال النظر حوله كمن لا يصدق أذنيه .

وفي هذه اللحظة وقع بصره مصادفة على الخزانة التي أغلقها في التو واللحظة ، وحينئذ تبين وجود أنبوبة معدنية رفيعة ممتدة من الجدار إلى أحد أركان باب الخزانة ، وأدرك على الفور أن هذه الأنبوبة هي جزء من جهاز الإنذار المثبت بالخزانة ، ولابد أن يكون هذا الجهاز بمعزل عن التيار الكهربائي الذي يضيء البيت .

ولم تكن "إميلي" قد ذكرت له شيئا عن الجهاز ، ومن المحتمل أن يكون "نورثويد" قد احتفظ بامر الجهاز سرا فلم يتحدث به إلى أحد . وأطفا "لوبيين" مصباحه الكهربائي على الفور ووثب نحو باب الغرفة وفتحه في حذر وخرج إلى الصالة .

وحينئذ وجد بينه وبين الباب الخارجي خادما ضخم الجثة يحمل في يده هراوة غليظة .

ونظر إلى الردهة الضيقة الموصلة إلى المطبخ ، ورأى خادما نحيف الجسم مفتول الساعدين يتقدم نحوه بخطى لا تكاد تسمع .

وأرسل بصره إلى السلم ، وهو المنفذ الأخير ، ورأى "نورثويد" واقفا أعلاه وفي إحدى يديه شمعة مضاءة ، ويده الأخرى مسدس . ولم يفقد "لوبيين" صوابه وتلاعبت على شفثيه ابتسامة وقال في أدب:

- طاب مساؤكم أيها السادة !! يؤسفني أنني أقلقتم في هذه الساعة المتأخرة من الليل .

ثم نكص على عقبية وعاد مسرعا إلى (الغرفة الصفراء) وأغلق بابها وراءه بصوت مسموع .

وكانت جراته قد أذهلت الخادمين فجمدا في مكانهما لحظة ثم هجما على الغرفة الصفراء في وقت واحد ، ولحق بهما " نورثويد " ولكنه لم يجازف بالدخول بل وقف بالباب ورفع الشمعة فوق رأسه ليتسنى له رؤية ما يحدث في الداخل .

ووقف الخادمان فجأة ولم يصدقا عيونهما ، فقد كانت (الغرفة الصفراء) خالية تماما .

ولكن الخادم الضخم كان أسرع من زميله في استرداد أنفاسه فمشى إلى مقعد كبير في ركن الغرفة وأطل وراءه ، وتشجع الخادم الآخر وأسرع إلى ستار النافذة وحركه ووجد النافذة مفتوحة .

وبينما الخادم الضخم يحرك المقعد ، وزميله يطل من النافذة ، وثب "لوبين" من فوق سلم وراء باب كان يستخدم بغير شك للوصول إلى الرفوف العليا بدواليب الكتب وهبط بكل ثقله على رأس " نورثويد " فافلتت من قم هذا الأخير صيحة نعر وسقطت الشمعة من يده وانطفات فدفعه " لوبين " إلى داخل الغرفة وأغلق بابها .
قال " لوبين " :

- لا يزال لدينا متسع من الوقت لقضاء ساعة في احد المراقص .
فدعرت الفتاة ونظرت حولها ورات " لوبين " يخرج من الظلام . قالت وهي تلهث :

- هل كان من الضروري ان تخيفني على هذا النحو ؟
ولكنه ضحك ونظر وراءه إلى القصر حيث سمع ضجة كان وقعها في أذنيه أعذب من أنغام الموسيقى .

ووثب " لوبين " إلى السيارة وأدار محركها فسألت الفتاة :
- وهل حدث ما لم يكن في الحسبان ؟؟
فاجابها :

- لم يحدث ما يتعذر تلافيه .
وانطلقت بهما السيارة تسابق الريح واشعل " لوبين " لفافة تبغ راح يبخنها في هدوء ولذة .

سالته :

- هل جئت بكل شيء ؟

- ألم أقل لك إنني لا أعرف المستحيلات ؟

- ولكن الضجة ..

- يبدو أن الخزانة كانت متصلة بجهاز للإنذار لم يكن لك به علم على أن وجود الجهاز لم يغير من الأمر شيئاً . لقد وصل الأغبياء بعد فوات الآوان ولو رأيت ضخامة اجسامهم لعرفت سبب إبطائهم .

فامسكت ساعده بانفعال وهتفت :

- إنني لا أكاد اصدق انني ، لقد انتهى كل شيء الآن ، من ذا الذي يصدق انني اشتركت مع " ارسين لوبين " في مغامرة ؟ ! " ارسين لوبين بلحمه وعظمه هل ثمة مانع من ان أعبر عن اغتباطي ؟؟

ومدت يدها إلى زر نغير السيارة وراحت تضغطه بحركة منتظمة فارسل نغمة موسيقية مرحة .

وابتسم " لوبين " .

إنه نفسه لا يكاد يصدق ان الأمر تم بهذه البساطة والسهولة .
لقد كانت ليلة سعيدة منذ البداية .

وتحول بالسيارة في انحناء بالطريق وحينئذ رأى امامه فجأة صفا من المصابيح الحمراء فقال وهو يضغط فرامل السيارة :

- لم تكن هذه المصابيح هنا عندما جئنا .

وأحس بان زميلته قد صممت فجأة وجممت في مكانها .
همست :

- ترى ما هذا ؟

ولكنه هز كتفيه وأوقف السيارة على بعد ثلاثة أمتار من المصابيح الحمراء التي خيل إليه انها مثبتة في لوح من الخشب موضوع في عرض الطريق .

وكان الظلام دامسا فلم يتبين " لوبين " شيئاً وراء المصابيح ولكنه أحس بشيء معدني بارد يلتصق برأسه فتحول بسرعة ، ورأى فوهة المسدس ، ورجلا يرتدي معطفاً قد وقف بجانب السيارة .
قال له الرجل في هدوء مخيف :

- لا تات بحركة .

واحس "لوبين" بحركة بجواره ، فنظر بجانب عينه وإذا بالفتاة تغادر السيارة .

قالت وهي تغلق الباب :

- هنا تنتهي رحلتي أيها الغريب .

فغمغم "لوبين" في رفق :

- حسنا .

وقال الرجل الممسك بالمسند بلهجة الأمر :

- اعطني الأوراق .

فاخرج "لوبين" من جيبه حزمة الأوراق وتناولتها الفتاة ، واقتربت بها من مصباح السيارة وقرأت على ضوءه ما كتب على الحزمة .

وتاملها "لوبين" وهي تفعل ذلك وأعجب بخصلات شعرها الذهبي والنسيم يتلاعب بها .

وعادت الفتاة إلى نافذة السيارة وقالت تحدث "لوبين" :

- ليس لـ "بيرت نورثويد" أي شقيق يعمل استاذاً في "تورنتو" ، وليست لي أية صلة بأسرة "نورثويد" ، وفيما عدا ذلك فإن كل ما ذكرته لك صحيح .

لقد اشترى "نورثويد" هذا الاختراع من مخترع روماني شاب ، ولا أعلم كم دفع له ثمناً للاختراع . ولكنه اشتراه فعلاً . والاختراع لم يسجل إلى الآن ، وأهم شيء في الاختراعات التي من هذا النوع بالنسبة إلى المصانع ، أن يظل الاختراع سرّاً حتى يتمكن المصنع من إنتاجه قبل غيره بحيث يسبق به أي مصنع آخر ، وقد كان "نورثويد" يوشك أن يبيع الاختراع لمصانع سيارات "فورد" كما قلت لك .

فسألها "لوبين" في فضول :

- وماذا في نيتك أن تفعل به ؟

- إن لدي عرضاً من (هنري كايزر) صانع السيارات الأمريكي المشهور وقد قبلت العرض وسأبيعه للاختراع .

قالت ذلك وسارت إلى حيث كانت اللوحة الخشبية التي شنت إليها المصابيح الحمراء فازالتها من مكانها وأفسحت الطريق .

ثم عادت إلى "لويين" ونظرت إليه بالعينين الصريحتين اللتين
عجب بصفتيهما في المطعم وقالت :

- إننا قضينا اسبوعا في الاستعداد والتأهب لهذه المغامرة وكان في
نيتنا القيام بها بانفسنا هذه الليلة لولا أنني التقيت بك في الفندق
وعرفتك من صورة نشرتها لك إحدى الصحف منذ بضع سنوات . وكل
ما حدث منذ لقائنا كان مجرد وحي جاعني عفو الساعة وبعد ، هل
هناك ابداع من ان يسخر الإنسان اعظم خبير في المهنة لخدمته
وتحقيق اغراضه ؟

فسالها "لويين" :

- في أية صحيفة رايت صورتني ؟
- في صحيفة (لابريرس) . لماذا ؟
- اه كان ذلك منذ ثلاثة اعوام ، إنني اهنئك لحدة ذاكرتك وقوة
ملاحظتك يا أنسة .

فضحكت ضحكة هادئة تجمع بين المرح والاسى وقالت :

- إنني أسفة ايها الغريب ، لقد طابت لي صحبتك كثيرا .
فاجابها :

- إنني لا اقل عنك أسفا يا "إميلي" .
فصمتت لحظة ، ثم انحنت إلى الامام فجأة وطبعت على شفثيه قبلة
سريعة .

وقال الرجل الآخر وهو يحرك المسدس في يده :

- امض في سبيلك ولا تتوقف .

- الا تريدون سيارتكم ؟

فضحك الرجل بخشونة وأجاب :

- إن لدينا سيارتنا ، اما هذه السيارة فقد استأجرناها من احد

(الجراجات) خصيصا لهذه المهمة ، امض في سبيلك .

فادار "لويين" محرك السيارة ، وصاحت الفتاة :

- وداعا ايها الغريب .

فرد "لوبين" تحيتها بحركة من يده ! دون أن ينظر ورائه ! وانطلق
بالسيارة يسابق الريح .

* * *

مهما يكن من أمر الفتاة ، فإنه قد قضى معها سهرة ممتعة حافلة
بالمفاجآت التي يعتبرها محور حياته ! وقد كره أن يتصور ما سوف
تقوله الفتاة عنه عندما تبسط الأوراق بين يديها وتكتشف أنها أوراق
زائفة اصطنعها بسرعة في (الغرفة الصفراء) بينما احتفظ هو لنفسه
بالتصميم الحقيقي للاختراع الخطير .

* * *

الفصل الثاني

جواهر الملكة

جلس الرجلان في مطعم (أرنو) وبينهما قدحان من الشراب الفاخر .
كان أحدهما قصير القامة متجهم الوجه . تنم النظرات التي
يختلسها إلى زميله بين الغينة والغينة عن ريبته فيه وعدم ثقته . كان
كمن يجالس ثعبانا يخشى أن يلدغه في أية لحظة .
أما الآخر ، فكان طويل القامة حاد التقاطيع لامع العينين ، في
نظراته مزيج من المرح والسخرية .

قال الأول دون أن ينظر إلى جليسه :

- عجباً لك يا " بارنيت " ، إنك تضع الكثير من وقتك في النهاية
بتوافه الأمور . والواقع ، لماذا يهتم إنسان مثلك بدراسة أنواع
المشروبات ومعرفة طريقة صنعها وخصائص كل منها . وهي مسائل
لا يهتم بها غير الذين يتجرون في المشروبات على نطاق واسع .
فابتنسم " بارنيت " واجاب :

- إن الذين يعملون في مهنتنا يا عزيزي " بيشو " يشعرون أحيانا
بان هناك أشياء ينقصهم فيها العلم . فالמידان الذي تجول فيه وتصول
لا يضم فقط جيادا تحاول الوصول إلى الهدف قبلك . وإنما تضم
كذلك كلابا تحاول أن توقع بك وتقطع عليك السبيل ، والعناية بمعرفة
الأشياء الصغيرة قبل الكبيرة كثيرا ما تحقق لصاحبها النصر .

انظر إلي مثلا ، إنني حين أتناول هذا القدح لأرفعه إلى شفتي ، لا
أفكر في متعة ارتشاف هذا الشراب بقدر ما أفكر في الأعناب الذهبية
التي صنع منها ، وفي الأسماء الخالدة التي اقترنت باجود أنواعه ،
إن لبعض هذه الأسماء رنينا أعذب من أنغام الموسيقى ، ولا أمل كذلك
من التفكير في العظماء الذين استعبدتهم عصير الأعناب .

اولئك (السكارى الخالدون) كما أسماهم رابليه ، من أمثال
أوجست العظيم ملك سكسونيا الذي رزق بثلاثمائة وخمسة وستين
ولدا بين شرعي وغير شرعي ومات من الإفراط في الشراب في

احتفالاته بأعياد ميلاد أولاده ، "ودون كلارنسي" الذي غرق في برميل الشراب ، كذلك لا اتمالك نفسي حين اتناول الشراب أو ابحت عنه من التفكير في اللائى التي ..
فهتف المفتش "بيشو" :

- أه . لقد كنت حائرا لا أدري كيف اقحم موضوع اللائى في حديثنا .
- ما اوثق الصلة بين اللائى والشراب ؟ ألم تعلم ان اللائى تذوب فيه ؟ ألم تقرا ان اباطرة الرومان كانوا في مبادلهم ينثرون اللائى في الشراب ليثبتوا أنهم لا يقيمون وزنا للمال ؟ ألم تسمع عن المادبة الضخمة التي اقامتها "كليوباترا" لقيصر حين قدمت إليه بيدها قدحا من الشراب وضعت فيه لؤلؤة لا تقدر بثمن ؟ إذا لم تكن قد قرأت أو سمعت عن كل هذا يا عزيزي "بيشو" فانت رجل جاهل لا تصلح مفتشا للبوليس .

فرمق "بيشو" صديقه وغريمه بنظرة صاعقة واجاب :
- دعك مما قرأت وسمعت ، إن ما أريد معرفته الآن هو مدى اهتمامك بجواهر الليدي "أو بنهايم" التي يلقبونها بملكة الماس .
فتنهذ "بارنيت" واجاب :

- إنك تشعرني بالخجل من نفسي يا "بيشو" كلما فكرت في اني اتخذت صديقا لا يهتم بغير الماديات الزائلة . لقد دعوتك لتتناول معا طعاما شهيا ، وننعم معا ببضع كؤوس من جيد الشراب ، وكنا منذ لحظة نقوم بجولة شاعرية في ربوع التاريخ بين الاساطير الخالدة .
وإذا بك تهبط فجأة إلى عالم الإثم والإجرام . وتتهمني بالتدبير للحصول على لائى تلك الأرملة التعسة .

فقال "بيشو" بصوت ينم عن الارتياح :
- بل إنني سامضي إلى أبعد من ذلك واسالك : هل اختيارك هذا المكان لتناول الطعام كان مجرد مصادفة ؟

- وهل يخامرك شك في ذلك ؟ لقد خيل إلي أنه مكان هادئ انيق نستطيع أن نقضي فيه وقتا طيبا .

- ألم يقع اختيارك على هذا المكان لأنك علمت بطريقة ما أن الليدي "أوينهايم" ستحضر إليه ؟

- نعم لم اكن اعلم ذلك بالتأكيد .

- إذن فوجوبها هنا الآن مجرد مصادفة !

ورفع " بارنيت " حاجبيه في بطة .

وقال " بيشو " دون أن يحول عينيه عن وجه محدثه :

- إنها خلفك إلى اليسار .

فاحتسى " بارنيت " قدحه في هدوء ونظر من فوق كتفه بقلة اكتراث.

فلم يكن في حاجة إلى من يرشده إلى الليدي " او بنهايم " فقد نشرت

لها الصحف والمجلات عشرات الصور ، وكتبت عن ثروتها من اللآلئ

والاحجار الكريمة ما جعل صورتها تنطبع في ذهنه .

كان زوجها اللورد " او بنهايم " رئيسا لاتحاد تجار الماس . وصاحب

اغنى مناجم الماس في جنوب إفريقيا وقد توفي في العام الماضي وترك

لزوجته ثروة طائلة من الاموال والاسهم والاحجار الكريمة . ولعل ابداع

ما تركه لها ذلك العقد من اللؤلؤ الوردي الذي ابتاعه من أحد مهرجات

الهند بمائة ألف من الجنيهات وكانت الليدي نحيفة الجسم بارزة

العظام لها وجه كوجه الجواد الاصيل ولم يكن " بارنيت " في حاجة إلى

إطالة النظر نحوها لكي يعرف الكثير من خلقها وطباعها ومع ذلك فقد

طالت نظرتة اكثر مما ينبغي واستقرت عيناه لحظة على وجه الفتاة

الفاطنة الذهبية الشعر التي كانت برفقة الليدي .

قال " بيشو " بصوت خشن :

- هه .. ما رايك ؟

- جميلة جدا .

- بالتأكيد .. لقد قدر ثمنها بمائة ألف جنيه .

فهتف " بارنيت " في سذاجة :

- هل تعني اللآلئ ؟ إنني لم انظر إليها .. بل نظرت إلى ابنة

الليدي .

- ليس لليدي بنات ، واكبر الظن انها إحدى صديقاتها او مرافقاتها

والآن ، دعك من هذا العبث ولا تحاول أن تخدعني ، إنني عندما علمت

بقدوم الليدي " اوبنهايم " ادركت على الفور انك لن تدعها وشانها ،

ولهذا جئت لكي احذرك انني وضعت الليدي تحت المراقبة ٢٤ ساعة في

اليوم . فإذا رآك أحد رجالي تحوم حولها أو إذا حدث لعقد اللؤلؤ أي حادث فسابادر إلى اعتقالك فوراً ولو كنت في المريخ .. تذكر هذا جيداً . قال ذلك ونهض واقفاً وانصرف غاضباً فشيعة " بارنيت " ببصره حتى توارى ، وفي هذه اللحظة دعيت الليدي " اوبنهايم " إلى التليفون فغادرت مائدتها .. ونظر " بارنيت " إلى الفتاة والتقت عيونهما ، ونكست الفتاة بصرها وتناولت علبة ثقاب ودونت عليها بضع كلمات بقلم أخرجه من حقيبتها .

وبعد قليل ، وضع أحد الخدم علبة الثقاب أمام " بارنيت " فقرأ فيها :
" ٢٧ شارع بيانفيل " . الساعة العاشرة والنصف " .

وفي الموعد المحدد كان " بارنيت " يصعد درج سلم " المنزل " رقم ٢٧ بشارع بيانفيل " وكان المنزل عتيقاً يتألف من طابق واحد ، فطرق " بارنيت " الباب وفتحت الفتاة بنفسها فاحنى لها قامته في حركة ساخرة .

وقال في تهكم :

- طاب مساؤك .

فاجابت في هدوء :

- وطاب مساؤك .

وتقدمته إلى قاعة الاستقبال وهناك سألته :

- ماذا تشرب ؟

- أريد قدحا من الشراب إذا سمحت .

وجاعته بما طلب فازدرد الشراب في جرعة واحدة وقال :

- إنه شراب جيد ، أرى أنك لاتزالين كالعهد فتاة فاتنة أنيقة . اعتقد

أن شيئاً واحداً فيك قد تغير ، عندما رأيتك أول مرة كنت تدعين

نورثويد " . فماذا تسمين نفسك الآن ؟ !

- " جانين روجيه " وهو اسمي الحقيقي .

- اسم جميل ، عندما تقابلنا أول مرة ، حاولت أن تجعلني مني

مخلب القط ونسيت المثل القائل (من حفر حفرة لأخيه . الخ ..) .

فعضت شفتها وقالت :

- ليس لي أن أشكو . لقد بادأتك بالعدوان ، وقابلتني بالمثل وهكذا

لم يتبق بيننا حساب .

- هذا بديع ، هل افهم من ذلك انك دعوتني إلى مقابلتك هنا لنحتفل بإبرام عهد للصالح بيننا .

فاحمر وجهها قليلا وقالت :

- عندما رايتني مع الليدي " اوبنهايم " ابركت اننا سنلتقي عاجلا او آجلا . وإنني يجب الا أخدع نفسي ، ولهذا قررت أن اكون صريحة معك .

- هل خطر لك انني اسعى وراء عقد اللؤلؤ ؟

- إذا لم تكن قد سعيت فعلا . فانت بسبيل السعي الآن . ولماذا تعترض ؟ لماذا لا نعمل معا ؟

- هذه فكرة سليمة . ولكن كيف نقتسم الغنيمة ؟

- مناصفة بالتأكيد .

- اتفقنا يا " جانين " هاتي يدك واقبلي .

وأدرك " بارنيت " في تلك اللحظة التي لمست فيها يده يدها انها تضمر له الشر والخيانة ولكنه لم يكف عن الابتسام وسالها :

- وهل فكرت في خطة للعمل ؟

فاطرقت برأسها قليلا ثم قالت :

- لقد أتحت لي أكثر من فرصة لفحص العقد ، وتمكنت من إحصاء عدد حباته وأنا اتظاهر بالإعجاب به ، وقد طلبت إلى بعضهم في

أمستردام " بهولندا أن يصنع لي عقداً زائفاً يماثله في لونه وعدد حباته ، ومتى ورد العقد الزائف فليس أيسر من استبدال الحقيقي به .

فنظر إليها " بارنيت " بإعجاب وسالته الفتاة :

- والآن انبئني أنت . ماذا كانت خطتك ؟

- لم تكن لي خطة على الإطلاق ، لاني لم اكن اعرف الليدي

" اوبنهايم " ولم أظن إلى عقدها ولم يكن لي قط اي غرض سيئ ، إلى أن اثار الشخص الذي كان يتناول الطعام معي فضولي وشغفي بالالكي الفريدة . وبهذه المناسبة هل تعرفين من كان ذلك الشخص ؟ إنه مفتش البوليس " بيشو " وهو من اعز اصدقائي .

فصعدته بعينيها وكانما خطر لها انه يريد الإيقاع بها ثم تلاشت

مخاوفها وريبتهما حين رأت نظراته البريئة . سالها :

- متى سيرد إليك العقد الزائف ؟

- غدا ، أو بعد غد .

ومرة أخرى أحس " بارنيت " بأن الفتاة تخدعه .

قال وهو يقدم لها كأسه لتملاؤها :

- وبمناسبة الحديث عن " بيشو " . أرى من الحكمة ألا يرانا معا في الخارج .

وحانت منه التفاتة إلى المطبخ وكان بابه مفتوحا ، فهتف :

- خطر لي خاطر . مادمننا لا نستطيع تناول الطعام معا في المطاعم

العامه .. فإننا نستطيع أن نتناوله معا هنا .. ساحضر معي غدا

بعض المواد ، وسأطهو لك طعاما شهيا .

* * *

وفي اليوم التالي ، ذهب إليها حاملا حقيبة مليئة بالمواد الغذائية

وأشعل الموقد وبدأ يعمل .

ونظرت " جانين " إلى اللغائف التي أحضرها والقناني التي وضعها

أمامه وسألته :

- ما هذا ؟

فاجاب وهو يشمر عن ساعديه :

- سأطهو لك طعاما لم تتذوقي في حياتك أشهى منه ، ساصنع لك

حساء على الطريقة الألمانية ، حساء من ذيل الثور ، صحيح ، إنه

سيستغرق وقتا طويلا ، ولكنك ستعجبين به .

فقالت ضاحكة :

- سيستغرق وقتا طويلا ! ألا نتناوله في المساء ؟ .

- اظن أننا لن نستطيع ذلك ، لابد أن يظل فوق الموقد الليل بطوله ،

وسالحق بك ليلا لكي اضع الشراب بالقدر الكافي .

- ومتى ستحضر ؟

- لا أعلم على وجه التحديد ، حبذا لو اعطيتني مفتاحا للشقة حتى

أستطيع الدخول إذا عوققت أعمالك عن القدوم في الوقت المناسب .

- حسنا ، سائبت لك حسن نيتي وساعطيك مفتاحا لشقتي .

* * *

وبعد ظهر ذلك اليوم ، فوجئ " لوبين " بـ " بيشو " يزوره في مكتبه .

والقى مفتش البوليس بنفسه على أحد المقاعد وسال صديقه :

- أرجو أن تكون قد قضيت وقتا طيبا صباح اليوم .

- شكرا لك ، ولكن ماذا تعني ؟

- أحسب أنني حذرتك ونصحتك بالابتعاد عن الليدي " اوبنهايم "

- من قال لك أنني اقتربت منها .

- إنني أعني تلك الفتاة " جانين روجيه " ماذا (تطبخ) معها ؟

- إنني أطبخ معها حساء من ذيل الثور .

فنظر إليه " بيشو " شزرا وقال :

- يجب أن تعلم أنني لا أضيع وقتي سدى ، عندما رايت تلك الفتاة

بصحبة الليدي " اوبنهايم " ، رجعت إلى ملفات البوليس وعلمت أن

ماضيها حافل ، فوضعتها تحت المراقبة وعلمت أنك تتردد عليها وقد

كنت في شقتها صباح اليوم .

فنظر " بارنيت " إلى صديقه بحدة ثم لمعت عيناه وقال " بيشو "

" بارنيت " :

- إن رجلا في مثل مركزك يحسن به أن يحزم حقيبته فورا ويغادر

" باريس " إلى أن ترحل عنها الليدي " اوبنهايم " .

- شكرا لك على هذه النصيحة يا " بيشو " ، سافكر فيها جيدا ، هل

تستطيع تناول طعام العشاء معي الليلة ؟ إنها قد تكون سهرة الوداع .

* * *

اطفا " بارنيت " نور المطبخ داخل النافذة .. وراى رجلا يتحرك في

الظلام امام المنزل ، ثم رآه يقابل رجلا آخر ويتحدث إليه ..

كان ذلك الرجل قد تعقبه حتى وصل إلى البيت ثم توارى في الظلام

وظل يراقب البيت .. ولابد انه كان الآن يتحدث إلى أحد زملائه .

وغادر " بارنيت " المطبخ ، وتسلسل إلى قاعة الاستقبال ، واطل من

نافذتها وراى احد رجال البوليس السري يروح ويجيء خلف البيت ..

كان البيت محاصرا ، وموضوعا تحت رقابة شديدة .

ولكن لماذا ؟

وحوالي منتصف الليل ، عادت " جانين " وسمع " بارنيت " وقع قدميها على درج السلم ثم فتح باب الشقة ودخلت الفتاة كنسمة من نسيمات الربيع .

قالت له بمرح :

- هالو .. أرجو ألا تكون قد انتظرتني طويلا ..

فاجابها بلهجة خطيرة :

- أحكمي غلق الباب .. إن الوقت ضيق ويجب ألا نضيع لحظة واحدة .. إن البيت محاصر ، ورجال البوليس يعرفون كل شيء عنك .. لقد أنباني " بيشو " بذلك ، انظري من النوافذ .

وهنا بدرت من " جانين " حركة غير إرادية إذ أطبقت باصابعها على حقيبتها بشدة ..

ولاحظ " بارنيت " هذه الحركة وقال :

- أعطني هذه الحقيبة .

واشدت طرق الباب فصاح بها :

- أيتها الحمقاء . ماذا سيكون مصير بشرتك الناعمة بعد عشرة أعوام تقضينها في السجن ؟

وتناول الحقيبة من يدها وقال لها :

- انهبي وافتحي الباب .. واسرع إلى المطبخ .

ودخل " بيشو " وعلى وجهه مظاهر الفوز وقال يحدث الفتاة :

- أنا مفتش البوليس " بيشو " .. ولابد أن يكون " بارنيت " قد حدثك عني . جئت الآن في طلب عقد الليدي " أوبنهايم " .

وفي هذه اللحظة خرج " بارنيت " من المطبخ ، وراى " بيشو " وفي يده حقيبة " جانين " فقال :

- أه .. هذا يوفر علينا كثيرا من المتاعب .. معنرة .. واختطف الحقيبة وعبث بداخلها .

فقال " بارنيت " :

- إن عيبك الرئيسي يا صديقي هو أنك لا تنصت جيدا لما يقال أمامك . هل تذكر حديثنا حين قلت لك إنني أطهو ذيل الثور ؟ ثم هل

تذكر حديثي معك عن "كليوباترا" وكيف أنها وضعت لؤلؤة ثمينة في قدح من الشراب؟ إن ما فعلته "كليوباترا" أستطيع أن أفعل مثله .
واندفعت الفتاة نحو المطبخ "بيشو" في اثرها . ولكنهما احرقا اصابعهما في وعاء الماء دون أن يجدا اثرا للعقد
قال "بارنيت" :

- يؤسفني أن أقول لكما إن العقد تلاشى في الشراب المغلي وربما كان من الأفضل في هذه الحالة ألا تعلم الليدي "أوينهايم" أن عقدها قد استبدل ويستطيع الصديق "بيشو" أن يقنعها بأن اللصة الحسنة داخلها الخوف فهربت قبل أن تستبدل العقد .
فصاحت "جانين" و "بيشو" في وقت واحد :
- يا لك من وغد !!

الفصل الثالث

الطبيب الجهنمي

- ١ -

اشعل كويين - لفافة تبغ جديدة ، ثم رشف رشفة اخرى من كاس الشراب الموضوعه امامه ، ومضى يفكر في انه إذا احتاج القضاء على الأشرار أن يلقي رجل مثله شيئاً من العناء والمضايقات ، فلا ريب أن اشدها هو اضطراره إلى الجلوس في ذلك الوكر الذي يطلقون عليه اسم (قبو كوكي) ذلك الملهى الليلي العجيب المقام في بدروم إحدى العمارات الجديدة .. شرقي (نيويورك) ولم يكن الشراب وحده مبعث ضيق كويين ، إذ كان مزيجاً من الماء المثلج وقطرات طفيفة من الشراب .. بل إنه كان ينظر إلى صحيفة المحار التي قدمت إليه ، فيرتد طرفه حسيراً وتراجع يده وهي تآبى أن تمتد إليه .. إذ كانت الصحيفة مليئةً بسائل غريب ، تطفو على سطحه قطع صغيرة من الثلج وتسيح بينها أربع محارات هزيلة أدركت منذ أمد بعيد أن النضال في سبيل الحياة والنمو عبث في عبث ..

أما ثالثة الأثافي فهي تلك الضجة العجيبة المنبعثة من فرقة الموسيقى ، فيخيل إليك أن كلا من أفرادها الخمسة يعزف لحناً غير الذي يعزفه زملاؤه ! وتسمع من ذلك خليطاً من الأصوات المتنافرة العجيبة يبقها قارع الطبل ضغطاً على طبلته فتشعر من إيقاعه كأن مطرقة عنيفة تهوي على رأسك بين لحظة وأخرى . وكان الهواء قد فسد لضيق المكان واكتظاظه بالحضور ، وامتزجت فيه رائحة العطور ودخان السجائر وانفاس السكارى من زبائن (كوكي) السعداء الذين بلغت ببعضهم النشوة حدا جعلهم يجارون بالغناء مع الموسيقى وكل منهم يترنم باللحن الذي يحسب أن الفرقة تعزفه .

أما هؤلاء الزبائن السعداء فقد كان الرجال منهم من ذوي الوجوه الشاحبة التي رسم عليها السهر خطوطاً لا تمحى من التجاعيد ، والعيون الساهمة التي تطل منها نظرات جوفاء تارة ، وتشع منها ..

ومضات من النهم والاشتهاء تارة أخرى ..

على حين كانت النساء من اللاتي يلبسن أدنى قدر من الثياب ويحتسِن أوفى قدر من الشراب .. من ذوات الوجوه المصبوغة ، والشعور المتهذلة ، والعيون الناعسة الذابلة ..

وفي ذلك الجو الغريب جلس " لوبين " بمفرده في صبر وحلم لا ينفدان ، إلى المائدة التي اختارها لنفسه ، وقد غفل عن أن العميل الذي لا يجالس فتاة ولا يطلب زجاجة من الشراب ثم يحتل المائدة بمفرده ، ليس بالذي تنظر إليه إدارة الملهى نظرة رضا أو ترحب ببقائه طويلا ولذلك لم يلبث أن تقدم إليه الساقى وهو رجل شديد النحول ، ارتسمت في محياه سمة ثابتة من الاكتئاب قائلا :

- هل يريد السيد شيئا آخر ؟

فمد " لوبين " ساقيه إلى أقصى ما يسمح به المكان وهش في وجه الساقى قائلا :

- كلا .. ولكن دع لي عنوانك حتى إذا أردت شيئا آخر أرسلت لك رقعة بالبريد .

فحدجه الساقى بنظرة يتطاير منها الشرر .. ولكن نظرته ارتطمت بمنكبي " لوبين " العريضين وعضلاته المفتولة ، وعينية الساخرتين اللتين يبدو في زرقتهما الصافية وميض كحد النصل ، وإساريه المتناسقة التي تنم عن أن صاحبها ممن يعدون النضال والعراك من الفنون الجميلة .. وعندئذ استلانت نظرات الساقى وابت فيها الدعة والاستكائة ، وقنع من الغنيمة بالإياب ..

وما كان " لوبين " بالذي يحتمل كل هذه المضايقات لغير سبب قوي .. وما كان ليصبر في جلد على البقاء في ذلك الوكر الذي لم يسمع باسمه قط من قبل ، إلا لأن صديقه " هاملتون " مدير مكتب المخدرات العام تحدث إليه تليفونيا من واشنطن منذ بضعة أيام وذكر له شيئا عنه ..

واستجمع الساقى شجاعته بعد برهة وعاد بوجهه الكئيب قائلا :

- هل ينتظر السيد أحدا ؟ ..

- نعم .. أنتظر " كوكي " .. فمتى تؤدي دورها ؟

- إنها لا تغني في وقت محدد ، وإنما تبكر أحيانا وتتاخر أحيانا أخرى.

- حسنا .. سوف أنتظرها .

ولم تبق في الملهى مائدة خالية ، ووقف كبير السقاة عند المدخل يعتذر لبعض القادمين وهو يشير بيده إشارة شملت القاعة كلها ، كأنما يريد أنهم مليئة بالرواد .. فلم يفت ذلك المنظر "لوبين" كما لم يغب عن نظرات الساقى الكئيب فتقدم نحو "لوبين" قائلا في استكانة:

- هل يريد السيد قائمة حسابيه ؟

وشفع ذلك بان وضعها أمامه ، ولكن "لوبين" هز رأسه في تبليد وقال :

- كلا .. ليس قبل أن اسمع "كوكي" فكيف يمكنني أن أواجه أصدقائي بـ "إنديانا" عندما أعود إلى بلدي واعترف بأنني كنت في "نيويورك" ونهبت إلى قبو "كوكي" دون أن اسمع غناءها ؟ .. وكيف؟..

فقاطعته الساقى - ولكنها ربما تأخرت كثيرا ..

- أعلم ذلك .. ألم تخبرني به من قبل ؟

- حسنا .. إنها تقضي معظم الوقت في المقصف الذي انشأته للبحارة حيث تقدم لهم الطعام والشراب ..

ثم أرفف بلهجة ذات مغزى وهو يدقق النظر في "لوبين" :

- مجانا .. !!

- ياله من عمل نبيل ! هل لك أن تذكرني بان اغدو بحارا عندما أبعث من جديد !

- ماذا ؟

- إنني أرى الأنوار الكاشفة قد اضيئت ، فهل هي (كوكي) ؟

- كلا .. قلت لك إنها تحضر متأخرة !

- حسنا .. لابد أنها في الطريق الآن .. هل لك أن تنحرف إلى اليسار

حتى يمكنني أن أرى المسرح ؟

فرفع الساقى وجهه إلى السماء كأنما يستلهمها الصبر ، ثم

انسحب في ياس .. على حين أعلن مدير المسرح في الميكروفون ظهور
المغنية الجميلة مس .. افالون دكستر .

وكان "لوبين" يتوقع أن يرى ويسمع واحدة من تلك (النمر)
الثانوية التي تقدمها الملهي بين أدوار الرقص وبين النجمة الأولى
لتملاً الفراغ.. ولكنه الفى نفسه ينظر ويصغي في إمعان إلى تلك
الفتاة البارعة الحسن التي تقف وسط دائرة الضوء وهي تشدو في
صوت رخيم مؤثر وقد تهدل شعرها الذهبي فوق كتفها ، على حين
تدلت منه خصلة كبيرة فوق عينين واسعتين عسليتين تشعان سحرا
وفتنة ..

ومضت الفتاة تغني انشودة ثانية ثم ثالثة وسط عاصفة من
التصفيق والهتاف وصياح الحضور باستعادة ما تغنيه حتى
انسحبت أخيرا وخلفت "لوبين" في عجب وحيرة من الأثر الذي تركته
في نفسه بجمالها ورخيم شدوها .. فما كان يتوقع أن يجد شيئا كهذا
في (قبو كوكي) الذي حضر إليه ليرى شيئا معينا .. وقد راه ! .

ولم يفق من ذهوله إلا عندما سمع المنيع في الميكروفون يقول :
- والآن أيها السيدات والسادة نقدم لكم السيدة التي كنتم في
انتظارها جميعا فاعتدل في مجلسه ، إذ أدرك أنه يوشك أن يرى
(كوكي) .

* * *

وكانت (كوكي) قد نهضت من مائدة مجاورة للمسرح فارتقت الدرج
المؤدي إليه ولم يملك "لوبين" نفسه من الابتسام إذ كانت حركتها هذه
أشبه ببروز فرس البحر (سيد قشطة) من بركة عميقة .

وعاد "لوبين" ينظر ثانية إلى المائدة التي كان قد رآها من قبل
بنظرة عابرة دون أن يعرف (كوكي) نفسها ، إذ حرص الساقى
الخبث على كتمان هذه الحقيقة عنه ، وقد استرعى ناظره الشخصان
اللذان كانا يجلسان معها .. وكانا رجلا وامرأة ..

كان أبرزهما أنوثة ، ذلك الذي يرتدي سراويل الرجال شخصا يدعى
"فرديناند بير فيلد" ، ذا وجه أشبه بوجه فتاة ، دقيق الملامح غض
البشرة تعلوه خصلة من الشعر الذهبي تحتها حاجبان دقيقان أجاد

الملقط رسمهما فاستدارا فوق عينين زرقاوين باهداب كستنائية
طويلة ، وانف روماني دقيق ، وفم مستقيم رقيق الشفتين تبدو
حمرتهما القانية كأنهما صقلتا بالطلاء للتو ..

اجل .. فقد كان مستر "بيرفيلد " .. فنانا ..

اما رفيقته فكانت امرأة ذات شعر خشن كالاسلاك المشدودة ، وعينين
يبدو فيهما الظما واللهفة ، وشفتين برتقالييتي اللون .. عرف "لوبيين "
انها تدعى (كاي ناتيللو) ، وانها تقرض الشعر ..

وتحول نظر "لوبيين " إلى (كوكي) ثانية ، فهي التي تهمة اكثر من
غيرها إذا كان ثمة اساس لما سمعه عنها وجعله يدرك أنها سوف تلعب
دورا في حياته.. كانت تجلس إلى المعزف تمر عليه باصابعها في
انتظار هدوء عاصفة الهتاف والتصفيق التي استقبلت بها ، وعلى
وجهها المكتنز ابتسامة عريضة ..

اجل .. فإن (كوكي) لم تكن تقل عن مائة وثلاثة عشر كيلو جراما في
الوزن يبدو وجهها كطبل كبير نقشت عليه عينان وانف وشفتان ..

ولكن الذي اثار عجب "لوبيين " إنما هو مرأى يديها وهي تضعهما
امامها على المعزف فهما لا تشبهان ايدي النساء قط وإنما كانتا
عريضتين طويلتي الاصابع اقرب إلى ايدي اقوياء الرجال ، بحيث
خيل إلى "لوبيين " انهما يدا احد عمال المناجم ، او احد المصارعين ،
او يدا قاتل عريق اعتاد الخنق بهما..

ولقد احس "لوبيين " نحوها نفورا شديدا لعل بعضه يرجع إلى
تناقض ال اثر الذي احدثه في نفسه مراها بعد (افالون دكستر) ، ولكنه
ايقن بان امامه امرأة شريرة لا تقل خطرا عن قاتلهم من اشرار
الرجال .

* * *

وعلى الرغم من ذلك ظل محتفظا بهدوئه وبسمة البراعة التي تكسو
اساريه وهو يرقبها عندما ادنت فمها من الميكروفون الموضوع امامها
وراحت تقول في صوت عميق مسيطر :

- طاب مساؤكم أيها الاصدقاء .. إنني أسفة حقا إذ تاخرت قليلا ،
ولكنني اعنى ببعض اولادنا الذين تمر بهم محنة قاسية ، اعني أولئك

الابطال الذين يعملون في سفننا وقوافلنا ، ويجتازون اشد الاخطار
في الحرب والسلم على السواء .. رجال البحرية التجارية ..
واستطردت (كوكي) وهي تشير بيدها عبر القاعة :

- واني احب بهذه المناسبة ان تحياوا اثنين من اشجع الابطال الذين
مخروا عباب البحار السبعة .. " باتريك هوجان " و " اكسيل اندرمير " ..
وتحول الضوء الكاشف نحو شابين يجلسان إلى مائدة جانبية ،
فنهضا في حياء وتكلف ليردا تحية الجمهور على حين ارتد الضوء
ثانية إلى (كوكي) وكانت على اساريرها ابتسامة عريضة كانما يرجع
إليها الفضل في عودة القافلة سالمة إلى الوطن ..
وتابعت حديثها في الميكروفون قائلة :

- وتقديرا لضيفينا العزيزين ، سوف نبدا باغنية الملاح الاعزب
الكهل ! ..

* * *

وقد كان يكفي " لوبين " ان يسمع المقاطع الثلاثة الاولى منها ليدرك
انها من الاغاني المبتذلة التي تنتقى كلماتها في مهارة بالغة لتحتمل
وجهين من المعاني ادناهما إلى الفهم يرمي إلى تنشيط الرجال وإثارة
غرائزهم ..

وما من عجب بعد ذلك ان تلقى (كوكي) كل هذا النجاح ، وتقابل
اغنيتهما بالتصفيق والهتاف وصيحات الجمهور بطلب الإعادة .
وازداد " لوبين " مقنا لها وحققا عليها ..

وتضاعف هذا المقت عندما تبين مبلغ ما افسدته من روعة غناء
افالون دكستر " وجميل شدوها ..

وعندئذ سمع الساقى الكئيب يقول بغتة :

- لقد احضرت لك كاسا مزدوجة يا سيدي .. فهل يرضيك ذلك ؟ ..

- بلا ريب .. فهذا ما كنت انتظره طول المساء ..

وتذوق " لوبين " ذلك الاثر الذي كان في قاع الكاس ، فوجد له طعم
الشراب الاسكتلندي ، ومن ثم ابقاه فوق لسانه في احترام وتبجيل
وهو يضمن بان يزدرد ريقه ثم راح يجيل نظراته حواليه وهو يدعو الله
ان يرى " افالون دكستر " في ركن من القاعة .

وكان من حسن حظه أن راها !

ولا ريب أنها تسلمت إلى القاعة من باب خفي .. ففي تلك اللحظة بالذات كانت تنحني إلى الامام لتجلس ، عندما مر بها طرف شعاع الضوء ، فلمح "لوبين" رأسها ..

ولكنه كان أشد اهتماما بالمائدة التي جلست إليها ..

فقد كانت قريبة منه ، كما كانت هي المائدة التي ظل يوليها اهتمامه منذ أن اختار مجلسه بالقرب منها .. فهي مائدة الرجل الذي جاء لوبين " إلى (قبو كوكي) خصيصا ليراه ..

ولذلك كانت دهشته بالغة عندما رأى "أفالون دكستر" تجلس مع الدكتور "أرنست زلرمان" .

ولم يكن لديه - بعد - ما يأخذه على الدكتور "زلرمان" ..

فالرجل طبيب نفسي يحمل إجازات علمية قانونية ، ويتخذ عيادته في "بارك أفنيو" ويكثر من الظهور في أرقى المجتمعات ، وينتقي عملاءه من أرفع الطبقات قدراً .. كما لم يكن "لوبين" يأخذ عليه بالمثل انه فارغ الطول منتصب القامة ، مهيب الطلعة ، اشتعل رأسه شيباً قبل الألوان، ذو وجه ناعم البشرة ، وفم رقيق الشفتين ، وأنف دقيق ارستقراطي وحاجبين كثيفين حالكي السواد ، وعينين عميقتين ثاقبتين النظرات غارتا قليلا بين وجنتيه البارزتين .. كلا .. لم يكن "لوبين" يأخذ عليه شيئاً من ذلك كله ، بينما كان يرقبه من طرف خفي وهو يجلس وحيداً إلى مائدته كما يفعل هو .. ولكن كانت لديه أسباب أخرى تدفعه إلى بغض الدكتور "زلرمان" ، . والحق عليه .. منها ما سمعه من صديقه "هاملتون" عندما خاطبه تليفونيا من "واشنطن" ، ومنها ما عرفه من تحرياته الخاصة .. فقد كان سلوك الطبيب النفسي معيباً، لا يتفق ومكانته الاجتماعية ، إذ كان زير نساء لا يتورع عن غشيان دور اللهو مثل (قبو كوكي) ؛ وعندئذ تراه يجالس الفتيات ويداعبهن ويهمس في أذانهن ويربت بيده الرقيقة أكتافهن وظهورهن العارية .. ومن ثم اضطرم حقد "لوبين" عندما رأى (أفالون دكستر) تجالس هذا الطبيب المتهتك دون رواد الملهى جميعاً .. ونسي "كوكي" واغنيتهما ، ولم يعد يهتم بشيء إلا بمراقبة الدكتور "زلرمان" وترقب

مسلكه مع الفتاة.. وقد دهش "لوبين" حقا لشعوره هذا ، فما الذي يعنيه من تحبب الطبيب إلى المغنية ؟ ..
وما أدراه أنها سوف تستجيب لمداعباته وهمساته ؟ ولكنه كان قد أعجب بالفتاة ، وبمظاهر البراعة التي ترتسم على أساريرها ، فنهشت الغيرة فؤاده ..

* * *

وكان يتقلب على الجمر وهو يراها تدفع مخالب الطبيب مرة بعد الأخرى عن ذراعيها وكتفيها ، او عندما دفعت رأسها إلى الخلف في نفور واشمئزاز استنكارا لأمر لا ريب أن "زلمان" كان يهمس به في أذنها ..

ولم يعد "لوبين" يتمنى إلا أن تتاح له الفرصة ليظهر استنكاره لمسلك الطبيب الشيخ المتصابي ، ونفوره من أعماله جميعا ..
وقد أتاحت له تلك الفرصة ..

فبينما كانت (كوكي) في ذروة أغنيتها الرقيقة ، رأى "لوبين" يد "أفالون دكستر" ترتفع ثم تهوي في صفة مدوية على وجه الطبيب الوقور .. صفة لم يسمعها أحد في الملهى إذ ضاعت وسط الهتاف والتصفيق ، ولم يرها سوى "لوبين" الذي كان منصرفا بكليته إلى الطبيب ورفيقته .. كما رأى الفتاة تنهض غاضبة و "زلمان" يمسك بها من ذراعها في قوة ويعيدها إلى مقعدها قسرا ..

وعندئذ تمطى "لوبين" ونهض في هدوء ، فشق طريقه وسط الموائد في خطى خفيفة كالشهد .. ولم يبال بانتهاء (كوكي) من أغنيتها ، ولا بإضاءة الأنوار في القاعة ، ولم يكثرث بالانظار التي سوف تتجه نحوه .. فقد تسلطت عليه فكرة واحدة ، هي التي مضى لتنفيذها ..

وفي حركات وثيدة ، اتجه "لوبين" نحو الدكتور "زلمان" ، وأمسك بتلابيبه ، ورفع من مقعده ، والرجل يحملق النظر إليه دهشة ، بينما كان "لوبين" يقول :

- ما كان ينبغي لك أن تفعل شيئا كهذا ! ..

فراح الدكتور "زلمان" يحرق النظر إلى العينين الزرقاوين اللتين تبدوا فيهما لمحة غريبة من السخرية والتهكم ، واستولى عليه زعر

مباغت ظهر اثره في الحركة التي جذب بها نفسه من قبضة "لوبين" وهو يستدير ناحيته .. ولكن "لوبين" صوب إلى وجهه لكمة هائلة أصابته فوق عينيه وشفعها بأخرى استقرت فوق فمه ، وإذا بالدكتور "زلمان" يتهاوى فوق مقعده وسط رنين الأواني وصوت الزجاج المحطم ، عندما انقلبت المائدة ، بينما كان يحاول التشبث بها .. ووقف "لوبين" أمامه يحدجه بنظرة قاسية ، قائلاً :

- حسناً .. لعل في هذا درساً ينفعك !

- ٢ -

ران الصمت العميق لحظة على القاعة ، كما لا يحدث قط في ملهى كهذا في أثناء ساعات العمل ، وما لبثت الضجة أن انبعثت من جديد ، إذ اندفع الحضور واقفين بغثة ، يدققون النظر ، وارتفع صوت سقوط المقاعد ، وهرع السقاة والخدم إلى المكان الذي نشب فيه العراك . ولكن "لوبين" لم يعبا بشيء من ذلك ، كانه لم يشعر بما اثاره في القاعة ، والتفت نحو "أفالون دكستر" قائلاً :

- إنني لشديد الأسف .. وأرجو ألا يكون ثوبك قد سقط عليه شيء

فرمقته بنظرة غير مستقرة ، كانت فيها ومضة من الدهشة الممزوجة بالرضا ، تخالطها لمحة من الخوف والقلق ، وما لبثت أن افترت شفتاها في غبطة وغمغمت :

- شكراً لك ..

وفي تلك اللحظة كانت الحملة التايبية قد وصلت إلى المكان الذي يقف فيه الثائر ، ممثلة في شخص كبير السقاة عريض المنكبين مفتول الذراعين الذي امسك بذراع "لوبين" قائلاً في خشونة :

- ما هذه الضجة كلها ؟

فاجابه في مرح :

- لقد كنت ادرب صديقي هذا على رقصة جديدة .. فهل تحب أن أعلمك إياها ، أم تدع ذراعي ؟

واحس الرجل بعضلات "لوبين" الفولاذية تختلج تحت يده ، كما رأى نظراته الهادئة تحدجه في صرامة فتردد قليلاً ..

وعندئذ قالت " أفالون " :

- لا بأس يا "جُو" .. دعه ..

وخلص " لوبين " ذراعه في رفق وهو يخرج علبة لفافاتة ، ثم راح يتفرد في الدكتور " زلمان " في تلذذ ومرح ، وهو يجاهد في التخلص من غطاء المائدة الذي التف حوله في انحاء سقوطه .. واستطرد لوبين :

- ومن سوء الحظ ان صديقي لم يستغرق وقتاً طويلاً في التدريب ، فسقط واصيب وجهه .. وهي حوادث كثيرة الوقوع كما تعلم .. ونهض الدكتور " زلمان " على قدميه بمعاونة احد السقا ، وقد تورمت عيناه وانساب خيط من الدماء من فمه ، فراح يتحدث في غير وعي إلى " لوبين " كشخص اصابه مس من الجنون ، ولم يكف عن هذيانه حتى قدمت " كوكي " بنفسها وشقت لنفسها طريقاً وسط حلقة المحتشدين . وما كان " لوبين " يتوقع ان تكون على هذه الدمامة بعد ان غاضت ابتسامتها التقليدية وبدا وجهها صارماً عبوساً ، كما تالقت غضباً في نظرات باردة كأنهما عينا افعى شديدة الضراوة وهي تقول لـ " زلمان " :

- ما الذي حدث ؟

فانطلق الطبيب صاحباً وهو يضغط على كلماته ضغطاً شديداً :

- لقد اعتدى علي هذا الوغد الوقح لغير سبب البتة ..

فقاطعه " لوبين " قائلاً :

- او لسبب يسير ، هو انني رايتك تجذب مس " دكستر " من ذراعها في خشونة ..

- لانها صفعتنني ..

- ولقد احسنت في ذلك .. فإنني رايت ما كنت تفعله معها ..

فراحت " كوكي " تنقل نظراتها من وجه إلى آخر ، حتى استقرت على الفتاة قائلة :

- لقد فهمت .. ما الذي شربته الليلة يا " أفالون " ؟

فتدخل " لوبين " قائلاً :

- الواقع يا " كوكي " ان المرء إذا أراد ان يثمل من المشروبات التي

تقدمينها هنا ، لوجب ان يظل يشرب حتى الصباح ..
- احب ان اعلم بحق السماء كيف جرؤت على إهانة زبائني ؟
وتدخل " لوبين " مرة اخرى منذ رأى الابتسامة الخفيفة على شفتي
الفتاة :

- إنه هو الذي اهانها أولاً يا " كوكي " .
فصاح " زلرمان " :
- ايها الكاذب القذر !
ولكن " لوبين " استطرد في هدوء :
- وبذلك دفعها إلى صفعه .. فقد رايت بنفسي ما حدث كله .. ولست
انري لماذا لا تامرین بطرده من المكان ، حتى يمكننا الاستمرار في بقية
البرنامج ؟ .. فحذجته " كوكي " بنظرة وقالت :
- لا تتدخل في شؤون غيرك من فضلك ..
ثم استدارت نحو الفتاة قائلة :

- اينها الحمقاء السكرى ! لقد ضقت ذرعاً بسخافاتك واغنيتك
الكريهة. فلم تنتظر " افالون " بقية ما تريد المرأة ان تقوله ، وإنما
توجهت عيناها إليها من فرط الغضب وصاحت :
- بل لقد ضقت انا ذرعاً بهذا الوكر اللعين الذي تديرينه ويمكنك ان
تذهبي وعملك إلى الجحيم ! .

ثم استدارت في عنف وأسرعت خارجة ، وعندئذ ران على المكان كله
صمت عميق كما حدث اول مرة ..

وواجهته " كوكي " لحظة ، ثم قالت :
- من انت بحق السماء ؟
- اسمي " أرسين لوبين " ..

قالها في سهولة ورفق كما ينطق بأي اسم عادي .. ومع ذلك فقد كان
لهاتين الكلمتين من الأثر ما يفوق السحر ، إذ تراجع كبير السقاة
العملاق إلى الوراء خطوة وهو يغمغم :

" يا إلهي " .. بينما جمعت يد الدكتور " زلرمان " التي كان يمسح بها
الدماء المنسابة من ركن فمه ، وظل على هذا الوضع لا يحير حراكاً ..
في حين سكنت " كوكي " في مكانها وقد شلت حركتها ولم يتغير فيها

سوى نظراتها إذ خالطتها لمحة من القلق والاضطراب ..

وأردف "لوبين" قائلاً :

- وإنه ليسرني أن قابلتكم جميعاً الليلة .. ولكنني أحب الآن أن أدفع حسابي وأخرج إلى الهواء الطلق ..

وما كاد يتم عبارته حتى كان الساقى الكئيب يمد إليه يده بقائمة الحساب ..

ولكن "كوكي" بدأت تقول في صوت يسيل رقة وتوددا :

- مهلاً لحظة يا مستر "لوبين" .. فمثل هذه الأشياء تحدث كثيراً في النوادي الليلية ، وكلنا نعلم ذلك .. وما قصدت البتة أن أسيء إليك ولكنني كنت شديدة الانفعال مما حدث . فهلا جلست وتناولت معي كأساً من الشراب ؟

فأجابها في هدوء :

- كلا ، شكرأ .. لقد تناولت الليلة من شرابك ما فيه الكفاية !

ثم أخرج من جيبه ورقة مالية القى بها إلى الساقى في حركة تنم عن أنه لا يريد بقيتها بينما كانت "كوكي" تقول :

- لا ريب أنك كنت تعتقد صواب ما فعلته ، ولكنك لو علمت يا مستر "لوبين" أي عناء القاه من تلك الحمقاء الصغيرة ، فأني واثقة ..

- بل إنني واثق تماماً من أن "أفالون" على حق ، وسوف يكون لي شأن مع الدكتور "زلمان" يوماً من الأيام ..

ثم استدار على عقبه ، ومضى يجتاز القاعة بخطواته الطويلة وقد بدا عليه الضيق والملل من المكان ، كما كان يود بكل جوارحه أن يلحق بالفتاة في الطريق قبل أن تختفي عن الأنظار . وكان يعبر الباب عندما التقى بـ "فرديناند بيرفيلد" في طريقه إلى المغسل ، فامسك بيده قائلاً في مرح :

- ألا ترى يا عزيزي "فردي" أن طلاء الأظفار الذي تستعمله لا يلائم بشرتك ؟ حذا لو انتقيت طلاء بنفسجي اللون . فتململ مستر "بيرفيلد" وجذب يده الرقيقة وهو يغغم :

- أه .. أنت !

فترك "لوبين" يده وأسرع إلى الطريق ..

وكانت " افالون " واقفة على الإفريز تتحدث مع حارس المبنى وهو
يمسك لها باب السيارة التي كانت تستقلها عندما خرج " لوبين " من
المهلى .. وقبل أن يستطيع الحارس إحصاء الباب كان " لوبين " يصعد
إلى السيارة ويجلس إلى جانب الفتاة ورأى الحارس أنها لم تعترض
فاوصد الباب ومضى لشأنه ..

وراحت الفتاة تنظر إليه في صمت ..

وكان " لوبين " يتأملها وعلى شفثيه ابتسامة رقيقة ...

واخيرا قالت :

- طاب صباحك .. أخشى أن أكون قد أفسدت عليك سهرتك ..

- بل إنني الملوم .. وقد لحقت بك إذ ظننت أنه يحسن بي أن أقدم لك
كاسا من الشراب في مكان آخر لنزيل طعم ذلك الشراب الكريه من
فيهينا ..

- شكراً .. ولكني رأيت الليلة ما يكفي من مهلى ليلي واحد ..

فتردد " لوبين " لحظة ثم قال :

- هل تسمحين إذن بأن أصبحك حتى مسكنك ؟

فتفرست فيه بعينيها البريئتين برهة ، قبل أن تقول :

- بلا ريب . هيا بنا .

ثم ذكرت للسائق عنوانها بميدان " ستون " .. فما كادت السيارة

تدرج بهما حتى سالها " لوبين " في اهتمام :

- أو تقطنين هناك ؟ .. لا ريب أنك تربحين كثيراً ..

- إن المسكن الذي أقطنه ليس مرتفع الأجر .. كما أنني اشتغل

بانتظام ..

- أرجو ألا أكون قد تسببت في تركك لعملك ؟ ..

- اه ! .. لا .. سوف أحصل سريعاً على عمل آخر .. ثم إنني كنت

أتوق إلى شيء من التغيير على كل حال ، وكان ينبغي أن أترك " كوكي "

عاجلاً أو آجلاً ..

وعادت ترمقه بنظراتها في دهشة بالغة ، وأردفت :

- ولكنك لم تخبرني من أنت ؟ ..

- اسمي " أرسين لوبين " ! ..

فانتفضت الفتاة ، وغمغت :

- أه ! .. كان ينبغي أن أدرك ذلك . فما من أحد يجرؤ على فعل ما فعلت ولكن هل عرفوك ؟

- لقد أخبرتهم باسمي ..

- شد ما وددت أن أرى وجه " كوكي " وقتئذ !

- كانت أشبه بضفدعة تلقى حوتا ..

فقهقهت الفتاة في جذل .. ثم راحا يتحدثان حتى بلغت بهما السيارة مسكنها ، فقالت وهو يعينها على الهبوط :

- هلا أتيت لحظة ، فاقدم لك كأسا من الشراب الحقيقي ؟

- هذا ما أشعر بحاجتي إليه حقا !

ثم سار بجوارها في يسر كأنهما قد تعارفا منذ عشرات السنين ، لا منذ ساعات .

* * *

كانت حجرة الجلوس فسيحة هادئة ذات اثاث وثير ، بها خزانة للكتب وجهاز راديو ومعزف صغير ، تطل نوافذها على حديقة كبيرة متصلة بالنهر .

وما كاد " لوبين " يلجها حتى أحس بالهدوء والدعة ، خصوصا وأن ضوءاء الطريق لا تصل إليها وكأنهما قد خلفا المدينة وراءهما بمئات الكيلومترات .

ومضت " أفالون " تعد الشراب ، فذهب " لوبين " إلى خزانة الكتب وراح يقلب في محتوياتها فالفاها تحوي مجموعة من كتب الألب الرفيع لأشهر المؤلفين العالميين أمثال " برناردشو " و " إميل لودفيج " وأمثالهما .

فلما عادت قال لها :

- يبدو أنك تحبين القراءة .

- ينبغي أن أغذي عقلي بين أونة وأخرى .. وإن كنت من مغنيات النوادي الليلية ، ولكنني درست بمدرسة " سميث " ونلت شهادتي من جامعة " كاليفورنيا " ولذا لا حيلة لي في الأمر إذا شعرت أحيانا بالحاجة إلى القراءة والابتعاد بفكري عن هذه الأوكار .

فابتسم "لوبين" وقال :

- إنني أدرك ما تعنيه تماما .

ومضى إلى المعزف ، فوضع كاسه فوقه ثم جلس امامه وراح يداعب الأوتار باصابعه في لين .

وكف عن العزف فجأة ، وتناول كاسه ، ثم مضى إلى حيث كانت "أفالون" جالسة فوق الأريكة فجلس بجوارها وسالها :

- ما الذي تعرفينه عن "زلمان" ؟

- لست أعرف عنه الكثير .. فهو طبيب يقطن "بارك افينو" ويقال إنه نمسوي فر من "فينا" قبل أن يحتلها الغازون بقليل لاجئا إلى أمريكا) .. ولكنه لم يفقد شيئا من ثروته في أثناء فراره .. كما أنه يربح كثيرا هنا .. ولم اذهب إلى عيادته قط ، ولكن يقال إنها اشبه بأحد معارض هوليوود ، كما أن سجل عملائه ، ومواعيد زياراتهم اشبه بسجل التشريفات في البيت الأبيض ، لا يحوي إلا الاسماء اللامعة الرنانة .. ولديه ممرضة شقراء لاستقبال الزوار ربما كانت مهمتها أن تزيد الاضطرابات النفسية للذكور منهم ، قبل أن يبدعوا العلاج حتى يطول أمده ، ثم إن له مصحة خاصة في ولاية (كنيكتيكت) يقال إنها من أحسن المصحات وافخمها في الولايات المتحدة ، يلجأ إليها العظماء من المرضى ليتخلصوا من قيود المجتمع والتقاليد فيصنعوا ما يطيّب لهم أن يصنعوه ثم يؤدوا بعد ذلك أي ثمن يطلب منهم أداؤه .

- اتعنين أنهم إذا طاب لهم تمزيق ثياب إحدى الممرضات أو سكب

الحساء فوق رأس أحد الخدم ، فعلوا بغير حرج ، مقابل ثمن معين ؟

- إنه شيء كهذا فيما يخيل إلي .. ويقول الدكتور "زلمان" إن معظم الاضطرابات العقلية والنفسية تنشأ من كبت بعض الناس رغباتهم الشخصية ، مضطرين إلى هذا الكبت بحكم التقاليد التي يخضعون لها .. ومن ثم فإن الطريقة المثلى لعلاجهم هي إبعادهم عن هذه التقاليد ورفع الحظر عنهم لفعل ما يشتهون .. فإذا ما اطاعوا غرائزهم ووحى نفوسهم ، واشبعوا مواطن الضعف من عقولهم ، استطاعوا بعد ذلك بدء حياتهم من جديد ، وشفوا من امراضهم .

فابتسم "لوبين" قائلا :

- يبدو أنه لا يكتب رغباته الشخصية كما رأيت الليلة ! .
- فهزت الفتاة كتفيها في غير اكتراث ، وقالت :
- إنك تلتقي بأمثال هذه الزواحف في النوادي الليلية دائما وكان ينبغي أن أجاريه وأن اكظم غضبي .. ولكن يا للجحيم لم يكن في وسعي أن اصبر أكثر مما صبرت .
- لا ريب أنك قابلته من قبل ؟
- بالتأكيد .. فإنه يرتاد الملهى دائما .. وقد قدمته لي " كوكي " نفسها ، فهو أحد المقربين إليها .
- هكذا فهمت .. ولكن هل تحبه ، أم أنه يعالجها ؟ في رأيي أن التوغل إلى أعماق افكارها ونفسياتها ، قد يؤدي إلى نتيجة مثمرة .
- تماما .. ولكنني لن أفعل ذلك إلا إذا كنت مزودة بوسائل الدفاع .
- ففقحه " لوبين " وقال :
- إنها أشبه بذئبة ضارية ، اليس كذلك ؟
- بلى .. ومع ذلك فإن الناس يحبونها ..
- ربما كان الأمر كذلك .. ولكنها أوجت إلي بشعور عجيب لا أدري كنهه .. فمئذ أن رأيته أحسست بأنها أول امرأة التقى بها ، فشعرت بأنها ملأى بالشر والرديلة .
- لعلك على حق .. فهي امرأة مخيفة .
- وإنني لاتخيلها تحمل السوط في يدها في أحد مراكز الرقيق الأبيض .. أو تشرف على ملجأ للأطفال لتخنقهم واحدا بعد الآخر وتدفنهم في الغناء الخلفي .
- فضحكت " أفالون " ملء شديها ، وقالت :
- ربما لم تكن مخطئاً .. فلم تظهر في المدينة إلا منذ سنتين ، ولا يعرف أحد على وجه التحقيق ما كانت تفعله من قبل .. لعلها كانت كما تقول قبل أن تجد وسيلة أخرى لكسب المال اسلم عاقبة وأكثر امنا ..
- فعبس " لوبين " قليلاً وقال :
- ومع ذلك فقد أخبرني الساقى عن ذلك المقصف الخيري الذي أنشأته للبحارة .
- تعني " مقصف كوكي " ؟ نعم .. إنه أحد مبتكراتها الأخيرة .

- هل هو احد فروع إدارة الترفيه التي تشرف عليها الحكومة ؟
- كلا . كلا .. إنها مؤسسة قائمة بذاتها تنفق عليها " كوكي " من مالها الخاص ، وتقدم فيها القهوة والشطائر والحلوى للبحارة ، كما أعدت بعض الفتيات لخدمتهم والقيام على راحتهم ..

- هل ذهبت إلى هناك ؟
- لقد غنيت هناك مرتين أو ثلاثا .. وهو في الشارع الخمسين بالقرب من "الافنيو" التاسع .

- هل أفهم من ذلك أنها لا تربح شيئا من هذا المقصف ؟ أتراها تحب الخير لذاته أم أنها وسيلة للإعلان عن نفسها ، أم لها ولع خاص بهؤلاء الفتيان الشجعان الذين يركبون الاخطار ؟

- ربما كانت هذه الأسباب جميعها مجتمعة .. أو لعل ركنا في ضميرها قد استيقظ أخيراً فاحبت أن تكفر عن بعض سيئاتها .. ومهما يكن من أمر فإنني شديدة الابتهاج لخلاصي منها الليلة .. هلا ملأت كاسينا ؟

فمضى " لوبين " إلى حيث كانت زجاجة الشراب فوق الخوان وراح يصب منها في الكاسين ويمزجهما بالصودا .. وفي أثناء ذلك كان يحس بأن حظه قد أشرق عليه الليلة نجم ساطع بزغ فجأة .. فقد راح يلقي أسئلة بريئة المظهر وعلم أشياء كثيرة باللغة الأهمية خلال ساعات معدودات.. وكان المقصف الذي أنشأته " كوكي " للبحارة هو المحور الذي تدور حوله افكاره الآن وبوده لو يفهم السر في هذه الأريحية الغريبة .. وبدا له أنه قد مضى إلى أكثر من الخطوة الأولى في سبيل اقتفاء الأثر الغامض الذي كان يحاول تتبعه .
وعاد بالشراب إلى الأريكة واتخذ مجلسه ثانية وبدأ يخرج لفافة من علبته عندما قالت الفتاة :

- شد ما أعجب مما جاء بك إلى وكر كهذا في هذه الليلة !
- إنه الفضول ، والحظ السعيد معا .. فقد كنت مع بعض الأصدقاء ولم ترق لي صحبتهم ، فتخلصت منهم وشعرت بالحاجة إلى كاس من الشراب .. ووجدت نفسي وقتئذ أمام الباب ، فدخلت .. وكان من حسن طالعي أن رأيته ! .. وكان يكذب عليها .. ولكن هل كان في وسعه أن

يصدقها القول في حقيقة السبب الذي جاء إلى "قبو كوكي" من أجله؟..

واستطرد :

- وعندئذ سمعتك تغنين ..

- وهل أعجبك غنائي ؟

- لقد كان سحر "هاروت" !

- هل تعلم أنني رأيتك قبل أن أبدا ، فرحت أغني من أجلك ؟ ..

فاشعل لفافته وهو يختلس إليها النظر خلال ومضات الثقاب ثم

قال :

- لم أكن أعلم أنني الفت النظر إلى هذا الحد !

- أخشى أن تكون كذلك ..

- لو علمت حقيقتي لما أحببتني .. فإنني لست من المواطنين

المحترمين .. فانا أسطو على الناس وافتح الخزائن وبعض الناس

يمقتونني إلى حد يدفعهم إلى أن يرسلوا إلي القنابل داخل طرود

البريد ، كما أن رجال البوليس يبحثون دائما عن سبب يتعللون به

للقبض علي .. إن حياتي ليست ناعمة أو مستقرة كما تحسبن ..

- وأنا بالمثل ليس في حياتي شيء من الهدوء أو الاستقرار . نحن

متفقان في ذلك .

فلم يجب "لوبين" وراح ينفث دخان لفافته وهو يحدق النظر إليها

وعلى شفثيه ابتسامة شاحبة .

وكان عليه أن يقول شيئا ، ولكنه لم يعرف ما ينبغي أن يقول ..

وانبعث رنين الجرس فجأة فوفر عليه هذا العناء ..

واجفلت الفتاة ، ثم اعتذرت إليه ومضت خلال الردهة الطويلة

فسمع صوت الباب يفتح ، كما بلغ مسامعه صوت ذو رنين معدني حاد

يقول :

- هاللو يا عزيزتي .. يسرني أنني لم أوقظك من نومك .. هل

تسمحين لي بالدخول لحظة ؟

وبعد تردد يسير قالت "أفالون" :

- بلاريب .. تفضلي ..

وسمع "لوبيين" صوت الباب الخارجي يوحد ثم حفيف الثياب ، ثم ذلك الصوت المعدني يقول :

- أخشى أن أكون قد أثقلت عليك ..

- لا تكوني بلهاء .. تعالي ..

وفي اللحظة التالية كانتا في مدخل الحجرة ، فنهض "لوبيين" في تراخ بينما كانت "أفالون" تقول :

- مستر "أرسين لوبيين" .. مس "كاي ناتيللو" .

فحنى "لوبيين" رأسه ، على حين استطردت "أفالون" :

- تعالي يا "كاي" .. هيا اجلسي وشاركينا في كأس من الشراب .

ولكن "كاي ناتيللو" ظلت واقفة على باب الغرفة وهي تعبت باصابعها في شفتها البرتقالية اللون ، وتفرس في "لوبيين" في اهتمام كبير .. وما لبثت أن قالت :

- لقد رايت مستر "لوبيين" الليلة . عند "كوكي" .

فأجابها في تراخ :

- نعم .. لقد أمضيت هناك بعض الوقت ..

فجلست "أفالون" وراحت تكرر دعوتها للمرأة أن تتناول بعض الشراب ، ولكنها لم تتحرك من مكانها ، وقالت :

- شكرا .. ولكنني لن أبقى طويلا .. فلم أكن أعرف أنك في رفقة أحد ..

فهتفت "أفالون" ، وقد بدا عليها الحرج :

- دعك من هذا السخف ! .. لماذا حضرت إذن إلا أن تكوني قد أردت الجلوس معي بعض الوقت ؟

- إن لدي رسالة لك ، فإذا سمح مستر "لوبيين" ..

- إذا كانت الرسالة من "كوكي" فإن مستر "لوبيين" كان حاضرا ما

حدث ولن يضيره أن يسمعها .

فترددت المرأة برهة وهي تقلب البصر بين "لوبيين" و"أفالون" ثم قالت:

- حسنا .. إنني لم أكن أود الحضور إلى هنا لولا أن رايت اهتمام

"كوكي" بالأمر .. فقد كانت نائبة الأعصاب ، أعياها الثمل بحيث لم

تتمالك نفسها تماما .. وهذا ما يزيد أسى وحرنا .. وهي تريد منك

- أن تنسي كل ما حدث . اعني انها ترغب في عودتك إلى العمل معها .
فقلت " أفالون " في صراحتها المعهودة :
- إذا كانت أسفة حقا فلماذا لم تحضر بنفسها إلى هنا ؟ ..
- انك تعرفين كيف تكون " كوكي " عندما تثمل .. ولكنها أسفة حقا .
- حسنا .. يمكنها عندما تفيق أن تتصل بي .. فهي تعرف أين تجدني .
- إنني أقدر شعورك تماما يا عزيزتي .. ولكنني جئت إليك لأنها رجتني أن أفعل هذا نيابة عنها .. وهانذا ذاهبة الآن ..
- فنهضت " أفالون " ، قائلة في تودد :
- حسنا يا عزيزتي .. لقد احتملت الكثير من " كوكي " من قبل .. ولكنها الليلة قد جاوزت كل حد .
- إنك تعرفين طبعها .. وإنني أسفة !
- وتحولت عيناها الجامدتان إلى " لوبين " ثانية وهي تقول :
- طابت ليلتك يا مستر " لوبين " .. يسرني أن رايتك ..
- ثم تحولت بغثة إلى الردهة خارجة .. فلما أوصدت " أفالون " الباب خلفها وعادت إلى الحجرة ، قالت وهي تبتسم :
- حسنا .. هل يرضيك هذا ؟
- كلا ..
- إنها عادة " كوكي " أن تبعث بمن يعتذر نيابة عنها ، إذ يابى عليها كبرياؤها أن تفعل ذلك بنفسها .. ولكن هذه المرة لن ..
- أخشى أن يكون قد فاتك شيء مهم .. فإن " كاي " ناتيللو " لم تحضر إلى هنا لتحمل إليك اعتذار " كوكي " .. لقد تركت الملهى بطريقة رائعة ، ثم انصرفت بدوري على الأثر ولذلك أرسلت " كاي " خلفك لترى إن كان ثمة صلة بينك وبينني .. ولم تكن توجد أية صلة بيننا في الواقع ، ولكن ها هي ذي " كاي " ناتيللو " قد رأت غير ذلك .
- فتطلعت إليه الفتاة دهشة ، وقالت :
- وماذا في ذلك ؟
- فيه أنني " زججت " بك دون قصد مني في مخاطرة كبيرة ..
- فازدادت دهشة الفتاة وغمغت :

- هل تعني أن نهابك إلى الملهى الليلي لم يكن بمحض الصدفة ؟

- لعل الأمر كذلك !

فسالته الفتاة باهتمام :

- هلا أخبرتني بحق السماء عما يدور حولي ؟ إنني لا أفهم شيئا .

- ذلك خير لك الآن .. ومهما يكن فإنني لم أكن أود البتة أن يراني

أحد من اتباع " كوكي " عندك .. أما وقد وقع المحذور فينبغي أن تتخذي حذرك.

- اتعني أن ثمة خطرا يتهددني ؟

- لست أحب أن أخيفك .. ولكن هذا هو الواقع .

- إنني لا أخاف شيئا .. ولكن ألا تخبرني بجلية الأمر ؟

فهز رأسه سلبا وقال :

- لا يمكنني ذلك الآن ، فقد أخبرتك بأكثر مما ينبغي .. ولكن كان

يجب أن أحذرك .. ثم إنه كلما قل ما تعرفين كان ذلك أسلم عاقبة لك ..

وربما كنت مغاليا في ظنوني ، ولكن الأفضل أن تذكرني أنني دافعت

عنك في الملهى ثم لحقت بك فرايت من اللياقة أن تدعيني إلى تناول

كاس من الشراب وهذه هي كل الصلة التي تربطنا .

فلم تحر الفتاة جوابا ، إذ عقدت الدهشة والانفعال لسانها بينما

استطرد "لويين" :

- لقد أوشك الفجر أن يبرز يا " أفالون " ، فهلا طردتني من مسكنك

الآن!

- ٣ -

استيقظ "لويين" على رنين جرس التليفون الموضوع بجوار فراشه ،

فتناول المسماع وإذا به يسمع قائلا يقول :

- مرحبا .. مستر "لويين" ؟

وكان الصوت مألوفاً لديه ، ولو أن نبراته كانت تختلف عن آخر مرة

سمعها فيها .

- أجل .. من المتكلم ؟

- إنني الدكتور " أرنست زلرمان " .. أرجو ألا أكون قد أيقظتك من

النوم !

فنظر "لوبين" إلى ساعة يده ، وإذا بها قد جاوزت الظهر بقليل ،
فابتسم قائلا :

- أه .. كلا .. كيف حالك ؟

- إنني مدين لك بالاعتذار يا مستر "لوبين" .. فقد شربت كثيرا
ليلة الأمس ، وعلى الرغم من أن الشراب لا يؤثر في عادة فإنني لا أدري
لماذا كان أثره شديدا بالأمس حتى جعلني أسلك مسلكا لا يغتفر .. أما
لهجتي معك ، فإنني أفضل أن أنسى ما قلته .. وقد استحققت ما حدث
لي ، ولو كنت في مكانك لما فعلت غير الذي فعلت أنت .

وكان صوت الطبيب يفيض رقة ويقطر عذوبة واسفا .. وهو صوت
الرجل الذي يعرف ما يقول ويوحى إليك بالثقة ، ويدعوك إلى الإفضاء
لصاحبك بمتاعبك .

فقال "لوبين" في لين :

- لقد كنت أعلم أنك لن تحنق علي .. إذ إنني إنما كنت أعمل بوحى
تعاليمكم!..

فقد فعلت ما أوحته إليك غرائذك كما أنني لم أفعل إلا ما أملتة علي
غرائذي بالمثل .

- تماما .. إنك على حق تماما .. وإني أهنتك على ذلك ويؤسفني أن
يبدأ تعارفنا بهذا الحادث .

- لا تفكر في الأمر يا عزيزي الدكتور .. وإذا نشطت غرائذك مرة
أخرى فإنني على استعداد لتجديد التعارف .

- إن أسفي يا مستر "لوبين" أعظم من أن يمكنني التعبير عنه وإن
لدي اعترافا ينبغي أن أدلي به .. فالواقع أنني من أشد المعجبين بك ،
وقد قرأت الكثير عنك فكنت دائما أراك نموذجا للتعاليم والمبادئ التي
تشير إليها .. للرجل الذي لا يتردد لحظة في تحدي التقاليد وقيود
المجتمع إذا عرف أنه على حق .. وقد كان الحادث الذي وقع بيننا
بالأمس خير دليل على صدق نظريتي ، ولو أن هذا الدليل كان على
حسابي .

- سوف تجد مني المزيد من الأدلة يا عزيزي .

- ما دامت لديك هذه الرغبة يا مستر "لوبين" فإنني أرجو أن تتيح

- لي شرف مقابلتك مقابلة خاصة .
- فنفث " لوبين " دخان لفافته نحو السقف قبل أن يقول :
- أخشى أن تكون مشاغلي .
- بلا ريب .. إنني أعرف كثرة مشاغلك .. ولكننا الآن يوم الخميس ،
- فلماذا لا نلتقي في عطلة نهاية الأسبوع ؟
- ربما غابت المدينة خلالها .
- لنتركها إذن للظروف ، ففي وسعك أن تعرف رقم تليفوني من
- الدليل ، حتى إذا وجدت أنك ستبقى في المدينة تفضلت بالاتصال بي
- لنتناول الغداء معا ، فما رأيك ؟
- ففكر " لوبين " لحظة ثم قال :
- حسنا .. سوف اتصل بك .
- وسوف أكون تحت تصرفك .
- ولكن كيف عرفت رقم تليفوني ؟
- لقد تفضلت مس " دكستر " فأخبرتني بعنوانك ، إذ إنني اتصلت
- بها أولا ، بطبيعة الحال ، لأعذر لها .. وإنني يا مستر " لوبين "
- يسرني أن استمتع بلقائك مرة أخرى طاب يومك .
- سوف تستمتع بذلك حقا .
- وأعاد المسامح إلى مكانه ، ثم استلقى في الفراش يفكر في أحداث
- الليلة الماضية ، وفي " كوكي " ، والدكتور " زلرمان " و " أفالون دكستر " .
- وإن راحت أفكاره إلى هذه الأخيرة ، ذكر الفترة السعيدة التي
- أمضاها معها في منزلها ليلة أمس ، قبل أن يعود إلى فندقه ..
- وعندئذ مد يده إلى التليفون ، فطلب من عامل الفندق أن يصله برقم
- ذكره له بعد أن بحث عنه في الدليل ولم تمض لحظة حتى سمع
- " أفالون " تجيبه بصوت لا يزال فيه اثر النعاس قائلة :
- هاللو ؟ .. هذا أنت ؟
- نعم .. لقد كنت أحلم بك الآن ، ولكنني استيقظت ..
- لماذا لا تعود إلى النوم ثانية ؟
- ليتني أستطيع .. ولكن أحد الزواحف قد أيقظني .
- مثل " زلرمان " ؟

- نعم .. هل اتصل بك ؟
- بلا شك .. وقد راح يعتذر في حرارة البالغة ، ودعاني إلى تناول
الغداء معه .

- لقد دعاني بالمثل ..
- لنذهب معا إذن .. فلن أقبل دعوته إلا على أساس هذا الشرط ..
- سوف ألقاك بعد قليل .. ولكنني أرجو ألا تنسي ما قلته لك بالأمس
فلا تقبلي دعوة من أحد ، ولا تذهبي إلى مكان غريب ، ولا تصدقي
شيئا يقال لك فإنك بعد أن شوهدت معي ، وأصبحت موضع الشك
لصلتك بي ، صرت عرضة لأي شيء قد يحدث لك .. فكوني على حذر .
- سوف أكون ..

- وسأتصل بك فيما بعد ..
وبعد أن تناول الفطور في حجرته ، طلب إلى عامل التليفون أن
يصله برقم معين في واشنطن ، وانتظر قليلا حتى تم الاتصال ،
فسمع صوتا أجش يقول :

- إنني " هاملتون " .. أرجو أن تكون قد وفقت في بحثك .
- إنها فكرتك .. وقد زرت الملهى أمس ، ورأيت أصدقاءك ..
- وبعد ؟

- التقيت بأجمل فتاة في العالم ..
- إنك تفعل ذلك كل أسبوع .. ولكن تليفون مكتب المخدرات لا شأن له
بذلك فاشرح لي حياتك الغرامية في خطاب خاص ..
- إن اسمها " أفالون دكستر " ، وهو موجود في الدليل .. وتعمل
مغنية .. وقد كانت حتى ساعات قلائل ، تعمل في ملهى " كوكي " .

- إلى أي جانب تنتمي ؟
- لقد قابلتها فقط ، ولكنهم راوها معي .. فهل لك أن تذكر ذلك إذا ما
حدث شيء لي أو لها ؟ . كما قابلت " زلرمان " بالمثل ، فكان لقاؤنا
عنيفا إلى حد ما ! ولكنه شخص متسامح لين الجانب إذ اعتذر لي عن
ضربي له ، ودعاني للغداء .

- أرجو ألا تدعوه بالمثل فتكبدنا نفقات إضافية ..
- يمكنك أن تستنزلها من الأتعاب ! .. هذا كل شيء الآن وسأطلبك
فيما بعد

ثم أعاد المسامع إلى مكانه .. وأخذ يفكر ويمعن التفكير إذ كان عليه أن يربط بين ما سمعه وبين ما رآه في الليلة الماضية ، وأن يرسم لنفسه خطة العمل بعد ذلك .

استقر رايه على أن أول ما ينبغي الاهتمام به هو ذلك المقصف الخيري الذي أنشأته " كوكي " للبحارة .

ومضى إلى خزانة الثياب ، فتناول حقيبة ووضعها فوق الفراش ، ثم فتحها وأخرج منها حافظة أوراق جلدية عجيبة لما تحويه في باطنها من ضروب الخدع ووسائل التنكر - فقد كانت بها مجموعة من الوثائق لا ينقصها إلا الاسم .. فمن خطابات مطبوعة يمكن أن تكتب عليها رسائل من أية مؤسسة بين شركة البان نوزي بكانساس سيتي والسفارة اليابانية في انقرة .. إلى مجموعة من بطاقات الزيارة بشتى الأسماء ، وجوازات السفر التي تحمل العلامة المائية لاثنتي عشرة دولة ورخص قيادة السيارات والطائرات وبيطاقات التموين ، وتذاكر الاعتماد ، وشهادات الميلاد ، وتذاكر تحقيق الشخصية ، وتصاريح المرور ، وتذاكر العضوية في الأندية والنقابات وشتى أنواع التصاريح التي تثبت أن شخصية حاملها من أحد رعاة الأغنام في بلغاريا إلى أحد تجار العاج في أواسط إفريقيا .. وفوق هذه وتلك مجموعة رائعة من صور " أرسين لوبين " المختلفة بصورته الطبيعية أو متنكرا بشتى مظاهر التنكر ، متقمصا أية شخصية تخطر بالبال .. ومع هؤلاء جميعا عدد وفير من الاختام والطوابع لتفي بأي غرض يمكن أن ينشده .

وجلس " لوبين " إلى مكتبه فراح يعمل في تمهل وتؤدة زهاء ساعة كاملة ، انتهى بعدها من إعداد جميع الوثائق الرسمية اللازمة له متنكرا في صورة ملاح يدعى " توم سيمونز " في البحرية التجارية البريطانية .. وما لبث أن راح يفركها بين يديه ، ويحك أطرافها بالمبرة ، وينثر عليها رماد السجائر ، ويبللها بالمياه وبعض قطرات القهوة ، ثم وضعها على الأرض وأخذ يطوؤها بقدميه عدة مرات ، حتى رثت وتهدلت وبدا عليها القدم وطول الاستعمال .

فلما فرغ من هذه المهمة أتم ارتداء ثيابه وغادر الفندق حيث استقل

الحافلة إلى ميدان (واشنطن) ، ومن هناك راح يسير في تلك الشوارع الضيقة ، حتى وجد الحانوت الذي يقصده ، وهو أحد متاجر الثياب المستعملة .. فزعم لصاحبه انه سيمثل دورا معيناً في فرقة تمثيلية للهواة ، ويحتاج إلى ثوب كامل مستعمل لأحد البحارة .. وما لبث أن خرج يحمل لفافة بها ما يتم شخصية "توم سيمونز" العتيق .

فلما عاد إلى الفندق ، وجد رسالتين تليفونيتين .. كانت إحداها من "أفالون دكستر" إذ سألت عنه ، وذكرت أنها ستتصل به ثانية في الساعة السابعة ..

أما الثانية فكانت من "كاي ناتيللو" .. فقد سألت عنه ولكنها لم تذكر سبباً أو تعد بالاتصال به ثانية .

وابتسم "لويين" إذ رأى أعداءه يتحركون من كل ناحية مما ينم على أن تدخله قد أقض مضاجعهم .

ثم طلب رقم "أفالون دكستر" ، ولكنه لم يجدها في مسكنها وما لبث أن هبط إلى بهو الفندق ، وقضى ساعتين في الثثرة مع بعض معارفه حتى بلغت الساعة السابعة والرابع عندما اتصلت به "أفالون" ، فقالت:

- لقد نسيت يا عزيزي أن أخبرك بأنني كنت اليوم على موعد مع مدربي لحفظ بعض الأغاني الجديدة ، ولقد غبت عن مسكني طول هذه المدة .

- لا بأس يا حبيبتي .. ولكن هل أراك الآن ؟

فترددت الفتاة قبل أن تقول :

- الواقع يا عزيزي أن مدير أحد ملاهي (شيكاجو) قد أتى اليوم إلى (نيويورك) وهو رجل اعتاد أن يحضر لسماع غنائي عندما كنت أعمل هناك .. وقد دعاني إلى تناول العشاء معه ، فلم استطع الرفض ، خصوصاً وأنني أبحث عن عمل جديد .

- إنني أسف لذلك يا عزيزتي ، فقد كان بودي أن أراك .. ولكن هل

تعرفين هذا الرجل جيداً ؟

- أه ! .. نعم .. إنني أعرفه منذ زمن طويل ، وهو شخص وديع لا خوف منه وربما استطاع أن يحصل لي على عمل جديد .. ولكن لا

تقلق ، فلم انس نصيحتك لي بالخطر .. وبهذه المناسبة قد يسرك ان تعلم ان "كوكي" اتصلت بي اليوم .

- هل فعلت حقا ؟

- نعم .. وقد اعتذرت لي اعتذارا حارا ، والحتفت في الرجاء بان انذهب لأراها .

- وما الذي عولت عليه ؟

- لست ادري بعد .. فإنني امقت هذا الملهى ، وامقت "كوكي" نفسها .. ولكنها من جهة أخرى تعرف كل إنسان في المدينة وليس من الصواب مناصبتها العداء .. إلا انني سانتظر حتى أرى ما يحدث .. ما الذي ستفعله الليلة ؟

- ساقضي الوقت بين الشراب ومطالعة الصحف !

- أرجو ان أستطيع الخلاص من صديقي هذا في وقت مبكر ، فإنني أريد ان أراك ..

- لماذا لا تتصلين بي عندما تفرغين منه ؟ سوف أكون في الفندق ، ولكن إذا لم تجديني فاتركي رقم تليفون المكان الذي تكونين فيه .

- سوف أفعل يا عزيزي .. إلى اللقاء !

وظل "لوبين" يجرع الكاس تلو الكاس ، وقد انصرفت افكاره إلى الدكتور "زلمان" ، وهو يعجب أشد العجب لماذا يقدم رجل مثله على الاعتذار عن إقحام وجهه في طريق قبضة سريعة منقضة ؟ .. ولماذا يريد الدكتور "زلمان" أن يوطد معرفته بـ "لوبين" ، الذي لم يكتف بصرعه وإلباسه ثوب الهوان في الملهى وإنما سلبه فتاته ورافقها إلى مسكنها ؟ .. وكيف أدرك الدكتور "زلمان" أن "أفالون دكستر" تعرف رقم تليفون "أرسين لوبين" ؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة لا تدع مجالا للشك في أن الطبيب منغمس إلى ذقنه في تلك المغامرة التي يسعى "لوبين" إلى كشف أسرارها .. وما دام الأمر كذلك فينبغي أن يلقي "زلمان" نصيبه من الفحص والتمحيص وكشف الستار عنه .

وعندئذ غادر "لوبين" الفندق ، واستقل سيارة إلى عيادة الدكتور "زلمان" ليقدم على إحدى مغامراته التي ياتيها عفو خاطر دون

تدبير او ترتيب ، وهو لا يدري إلى أين تقوده .

وكانت عيادة الطبيب في الطابق الثامن عشر ، ولكن "لوبيين" طلب من عامل المصعد أن يمضي به إلى الطابق الثاني عشر بعد أن وقع في بئر الزوار الليليين باسم "جون سميث" .

وما كاد المصعد يهبط ثانية حتى راح يرقى الطوابق الستة العليا في خفة وسكون إلى أن بلغ عيادة الدكتور "زلمان" ولم يستغرق منه فتح قفل الباب الخارجي سوى القليل من العناء والوقت . وما لبث أن وجد نفسه في حجرة انتظار فسيحة أنيقة الأثاث ، طليت جدرانها بلون أخضر مريح للبصر وللأعصاب وحليت برسوم هادئة توهي للمرء بأنه في بيته ..

وراح "لوبيين" يفتش الحجرة على ذلك الخيط من الضوء المنبعث من مصباحه الكهربائي فلم يجد فيها ما يستحق الذكر ولم يكن مكتب المريضة التي تستقبل الزوار يحوي سوى بعض الأوراق والأقلام ، وإصبع لطلاء الشفاه ، ونصف علبة من السجائر ، ونسخة من مجلة "قصص الغرام" .. كما كانت فوق المكتب مفكرة للمواعيد كتبت عليها ثلاثة أسماء .

ومضى إلى حجرة العيادة ، فالهاها متواضعة الأثاث ، خلت جدرانها من الرسوم والنقوش ، ولا تحوي إلا مكتب الطبيب وأريكة للكشف ، ومنضدة صغيرة .

ولكن أين الملفات وبطاقات المرضى ؟ .. لا ريب أنه توجد بعض السجلات الخاصة بالعمل المعتاد للعيادة ، وهي أشياء لا تدعو الضرورة إلى إخفائها فإن السكرتيرة قد تحتاج إلى بطاقة أحد المرضى ، أو تدوين بعض الحسابات .

وعاد "لوبيين" ثانية وهو يسري كالشبح إلى حجرة الاستقبال حيث راح يديق الفحص في الركن الذي تجلس فيه السكرتيرة وما لبث أن استقر ضوء مصباحه الرفيع على مقبض معدني صغير في الجدار وفي اللحظة التالية كانت أصابعه تعبت به ، فجذبه نحوه ثم رفعه ، وإذا بجانب من الجدار يرتفع إلى أعلى ، كاشفا عن فجوة كبيرة بداخلها درج للملفات ، وخزانة صغيرة وآلة كاتبة .

وفيما كان يمد يده إلى درج الملفات ليرى ما بداخله ،

انبعث رنين التليفون بغثة في ذلك السكون الشامل فامتدت يد
"لوبين" نحوه دون وعي ولكنه ما لبث أن تمهل قبل أن يرفع السماع ،
ليفكر في الأمر .. ولعل الأغلب أن يكون أحد الناس قد طلب رقما خاطئا
إذ لا يعقل أن يتصل أحد بالطبيب في هذه الساعة المتأخرة .. ولكن
إذا لم يكن ثمة خطأ ، وكان الطبيب مطلوبا عن قصد ، فما من ضرر في
أن يجيب "لوبين" النداء .. فلن يعرف أحد من الذي أجاب ..
وأخيرا قال في صوت تعمد تغييره :

- هالو !

وعندئذ سمع صوتا رقيقا خيل إليه أنه قد سمعه من قبل ، يقول في
لهفة

- "أرنست" .. يسرني أنك عدت مبكرا ، وسوف أحضر إليك توا فقد
تطورت الأمور تطورا سيئا فيما يختص بـ "البرت فولي" ..
ولم ينتظر المتكلم ردا وإنما وضع السماع في صوت حاد كان له
بعض الأثر في إنعاش ذاكرة "لوبين" ، فأسرع يحول مصباحه
الكهربائي نحو مفكرة المواعيد ليتحقق من صدق حدسه .. وقد أصاب
إذ كان اسم "البرت فولي" أحد الأسماء الثلاثة المدونة بها ، بين اسمي
مسز "جيرالد ملدون" ، و"جيمس براتر" .

وتردد "لوبين" بين أن يختفي في العيادة ويبقى بها متلصصا في
انتظار الدكتور "زلمان" ومحدثه ذي الصوت الغامض المألوف وبين أن
يبحث عن "البرت فولي" هذا ليعرف منه ما يمكنه معرفته .. وقد
رجحت كفة الفكرة الأخيرة لاسيما أن العيادة لم يكن بها مكان يصلح
للاختباء ، ولو أن "لوبين" قد حزن لحرمانه من معرفة ما سيحدث
عندما يدرك المجتمعان أن الدكتور "زلمان" لم يكن هو الذي أجاب نداء
التليفون ..

وأعاد الجزء المتحرك من الجدار إلى مكانه ، ثم غادر العيادة وراح
يهبط الدرج في حذر حتى الطابق الثاني عشر حيث استقل المصعد إلى
أسفل العمارة إلى الخارج ..

وما لبث أن دخل إحدى الصيدليات وابتاع بعض الأدوية ثم بحث

في دليل التليفون عن عنوان " البرت فولى " حتى وجده .. ثم استقل سيارة ذكر لسائقها العنوان المنشود في " بروكن " فلم تمض برهة حتى كانت تسرع به إليه .

وفي خلال الطريق راح " لوبين " يفكر في صاحب الصوت الغامض الذي سمعه في التليفون .. وكان من الواضح أن ذلك المتكلم كان يتحدث في لهفة وانفعال ، كما كان يبدو في عجلة من أمره كان شرا مستطيرا قد وقع له .. وعلى الرغم مما بذله " لوبين " من الجهد في سبيل تذكر صاحب ذلك الصوت ، فإنه ما لبث أن كف عن المحاولة إذ لم يستطع الوصول إلى نتيجة مثمرة .

وأخيرا بلغ المكان الذي يقصده ، فوجده منزلا محترما من العمارات المعدة للسكنى ، فراح يبحث عن اسم " فولى " في صفحة الأسماء الموضوعة داخل الباب ووجده يقطن الطابق الثامن فمضى يرقى الدرج في صمت وحذر .

وإذ بلغ مسكن " البرت فولى " ، لمح شعاعا من الضوء يتسرب من أسفل الباب مما يدل على أن الرجل لم يكن نائما .. ولم يكن قد أعد خطته لما سوف يقوله ، تاركا ذلك لوحى الساعة ، كعادته .. ومن ثم قرع الجرس ووقف منتظرا ولم يسمع أية حركة تنم على أن شخصا ما يهم بفتح الباب لذلك الطارق الليلي بل لم يسمع شيئا البتة .. فطرق الباب ثانية .. ولكنه إذا لم يسمع شيئا بعد ذلك حاول فتح الباب فإذا به يستجيب له سريعا ليجد نفسه في ردهة صغيرة ذات اثاث متواضع ..

وهتف " لوبين " في صوت رقيق " فولى " .. " فولى " .. ولكن احدا لم يلب النداء ، فدخل " لوبين " وأغلق الباب خلفه وراح يجيل نظراته حوالیه فرأى في نهاية الردهة بابا يؤدي إلى المطهى وآخر لا ريب أنه باب حجرة النوم .

ولم يجد احدا في المطهى ، فقرع باب حجرة النوم ، ثم فتحها فالفأها تسبح في ظلام دامس فمضى يبحث عن مفتاح النور حتى وجده .

وما إن سطعت الأنوار في الحجرة حتى وجد بها رجلا .. ولكنه كان

جثة هامدة ، وقد انبطح على وجهه فوق الأرض والدماء الغزيرة التي تدفقت من ظهره تصيغ البساط الأخضر حوله ..

وراح "لويين" يفحص القتل ، دون أن يحرك الجثة باكثر مما ينبغي .. فوجده شابا في مقتبل العمر ، لا يبدو الثلاثين يرتدي ثيابا نظيفة تحمل أوراقه الشخصية التي في جيبه اسم "البرت برادفورد فولي" عضو اتحاد البحارة .

ولم يكن بجيوب القتل أي شيء يمكن أن ينم عن العلاقة بينه وبين الدكتور "ارنست زلرمان" .. كذلك لم يجد "لويين" في المسكن ، بعد أن فُتشته بيد خبير مدرب ، أي دليل على وجود تلك الصلة .

فلما فرغ من بحثه ، غادر المسكن بعد أن أعاد كل شيء إلى مكانه .. ومضى إلى مقصورة التليفون في أحد الحوانيت القريبة حيث طلب الاتصال بمركز البوليس في "بروكلن" .. وأخبر الشرطي المنوب ، بعد أن ذكر له عنوان المسكن أنه "سوف يجد شخصا يدعى "البرت فولي" ميتا .. وسوف يعرفه من المدينة الحادة التي يضعها في ظهره .

- ٤ -

وفي منتصف الساعة الحادية عشرة من الصباح التالي ، اتصلت به "أفالون دكستر" تليفونيا قائلة إنها لم تستطع الانتظار أكثر من ذلك حتى تطمئن عليه ، وسألته متى يريد أن يقابلها فقال :

- في اقرب فرصة ممكنة يا عزيزتي .. هل قضيت وقتا طيبا ليلة امس ؟

- بالعكس .. قضيت وقتا تعسا .. فقد عرض علي ذلك الاحمق عملا في "كليفلاند" ولكنني رفضته .. لانك لا تقيم في تلك المدينة !

- شكرا يا حبيبتي .. وما قولك الآن في أن نخرج معا لنزور بعض الناس ، ثم نمضي بقية اليوم معا ؟

- فكرة رائعة حقا ! .. متى أراك ؟

- بعد نصف الساعة ..

وما كان ارتداء ثياب الخروج يستغرق منه كل هذا الوقت ، ولكنه كان في حاجة إلى محادثة تليفونية مع (واشنطن) .

وساله "هاملتون" عندما اتصل به :

- هل من جديد يا بني ؟ .. اترك زججت بنفسك في ورطة جديدة ؟
- كلا .. ولكني اود ان تخبرني بكل ما يمكن معرفته عن شخص يدعى "البرت برادفورد فوللي" .. لقد كان باستطاعتي ان اتحرى عنه بنفسي لولا انك يمكنك القيام بذلك اسرع مني ، كما ان لدي اعمالا اخرى .

- اي نوع من الاعمال يا ترى ؟
- ساقرا الصحف واصحب فتاتي إلى بعض الزيارات .

- اهي الفتاة نفسها ؟

- بلى هي بلا ريب ..

- وما الذي عرفته عن القضية ؟ ..

- لم اعرف شيئا معينا بعد .. ولكن من يدري ما ياتي به الغد ؟
فلما فرغ من حديثه تناول إحدى الصحف وراح يقرأها في الطريق بعد مغادرته الفندق ، فوجدها قد نشرت نبا الجريمة في سطور قليلة فذكرت ان "البرت برادفورد" ، سكرتير اتحاد البحارة عثر عليه بواسطة رجال البوليس مقتولا في مسكنه في "بروكلن" ذلك الصباح ، على اثر بلاغ غامض من شخص مجهول ادلى به إلى الشرطي المنوب تليفونيا .. وقد اسرع المفتشان "رايت" و "ماكتشون" إلى مسكنه فوجدا الجثة مسجاة في حجرة النوم ، وقد غيببت في ظهرها مدية كبيرة مما يستعمله القصابون .. وذكر كبير المفتشين "فرناك" ان من المتوقع القبض على القاتل في اية لحظة .

وفيما كان "لوبين" في السيارة التي اقلته إلى مسكن "افالون" دكستر "راح يفكر فيما يعنيه كبير المفتشين بانه يوشك ان يقبض على القاتل .. فما من ريب في ان البوليس لا يعرف عن الجريمة اكثر مما يعرفه هو .. وإلا فهل يعلم البوليس بالعلاقة بين القاتل وبين الدكتور "زلمان" ؟ .. وإذا كان الامر كذلك فكيف يتوقعون القبض على القاتل؟ ..
لا .. إن الامر لا يعدو ان يكون مجرد مغالاة من محرر الجريدة ، ليسبغ على الخبر شيئا من الاهمية .

وقابلته "افالون" في ثوب منزلي أنيق ، وقادته إلى حجرة الاستقبال ثم احضرت له زجاجة من الشراب ، ريثما ترتدي ثياب

الخروج .. فراح يفكر في مسز " جيرالد ملدون " التي اعتزم زيارتها ، وهي صاحبة أحد الاسماء الثلاثة المدونة في مفكرة عيادة الدكتور زلرمان .. وكان اسم زوجها " جيرالد ملدون " من الاسماء اللامعة وسط رجال الاعمال ولو ان الصفقات التي كان يبرمها في الاسهم والسندات كانت صفقات مربية إلى حد ما ، خصوصا انه كان يستخدم أسماء مستعارة في بعض العمليات .

اما مسز " ملدون " فلم يكن " لوبين " يعرف عنها شيئا ، ولكنه أدرك ان ثمة اسبابا معينة هي التي تدفعها إلى استشارة طبيب نفساني كالدكتور " زلرمان " وهذه الاسباب هي التي يعتزم اكتشافها .

وكان من السهل ان يجد عنوانها في الدليل .. وكذلك لم تمض ساعة حتى كان يقرع باب " جيرالد ملدون " ، ثم يمضي والفتاة إلى حجرة استقبال نفيسة الرياش ، حيث وافتهما إليها مسز " ملدون " .

وكانت السيدة على جانب عظيم من الملاحظة والفتنة من ذلك الجمال الهادئ الرزين ، طويلة القوام ، فاحمة الشعر ترتدي ثيابا متواضعة أنيقة وتسير في خطوات وثيدة رشيقة .

وكانت نبرات صوتها الموسيقي ممزوجة بالدهشة عندما قالت :

- هل طلبتم مقابلي ؟

فقدم " لوبين " إليها نفسه قائلا :

- إنني " ارشي وليامز " ، المخبر في مجلة (تايم) .. وهذه زوجتي ..

فغمغمت مسز " ملدون " وقد ازدادت دهشتها .

- يسرني ان أراكما .. هل لكما في شيء من الشراب ؟

فلما أوما شاكرين ، أمرت مسز " ملدون " الخادم ان يأتي بمنضدة الشراب المتنقلة ، ثم التفتت إلى " لوبين " ، متسائلة .

- مجلة "تايم" ؟ .. وماذا تريد مني ؟ .. ولكن لا بأس ! لننتظر حتى

تتناولا شيئا ثم نتحدث ..

فلما قدم الخادم كؤوس الشراب إلى ثلاثتهم ، قالت مسز " ملدون " :

- حسنا يا سيدي المحرر ماذا وراءك ؟

- لقد كلفت بجمع المعلومات اللازمة عن الدكتور " زلرمان " حيث إننا

نعتزم كتابة مقال عن مشاهير الأطباء .

فحملت مسز " ملدون " إليه وقالت :

- يا إلهي ! .. وما شاني بذلك ؟

- إنني أريد أن اطرح عليك بضعة أسئلة ، تساعدني على وصف شخصية الطبيب وصفا صحيحا . فإن مهمتي هي معرفة آراء المرضى في أطبائهم .

- ولماذا اخترتني بالذات ؟

- الست من زبائن الدكتور " زلرمان " ؟

- اوه ! .. نعم ..

ولحظ " لويين " ترددها ، ولكنه لم يعلق على ذلك وقال :

- وكيف تريه ؟

- إنه شديد التفاخر والخيلاء ..

- هكذا ؟ .. احسب أن شعورا كهذا قد يفسد الصلة بين الطبيب ومرضاه ؟

- إنه رجل مغرور .

- حقا ؟ .. لقد ظننت أن له شهرة ذائعة ؟

- وما هذه الشهرة ؟ .. إنها ما يذيعه عنه ذوو الرؤوس الفارغة الذين تؤثر فيهم طلعه المهيبة ولسات أصابعه الرقيقة وكذا ما يقوله أولئك المحدثون الذين يتباهون بقولهم : " لقد دفعت خمسمائة دولار في زيارة واحدة له " .

- أراك متحاملة عليه .

- كلا .. ولكن ما الذي تريد معرفته عنه ؟ .. عندما كان في (فيينا) في الثالثة عشرة من عمره ضربه أحد القصابين على يديه إذ حاول سرقة بعض (السجق) . وكانت نتيجة ذلك أنه يصير على أن ترتدي سكرتيرته ثوبا أزرق اللون .. فهو لا يطيق رؤية ثوب أبيض حواليه .. وهو لا يعرف السبب بالتأكيد وليست لديه أقل فكرة عن أن القصاب الذي ضربه كان يرتدي معطفا أبيض اللون وأن كرهه لهذا اللون ناشئ عن عقدة نفسية في أعماقه هو .

- يبدو أنه لا يصلح موضوعا لمجلتنا .

- أه ! .. امض في سبيلك ولا تبال .. هل لك في كأس أخرى ؟

- هلا أخبرتني يا مسز "ملدون" ، كيف تتوقعين الحصول على علاج نفسي من رجل تتحدثين عنه بهذا الازراء ..

فاعتدلت مسز " ملدون" في جلستها ، وهتفت :

- ازبراء ؟ .. لا شيء من ذلك يا سيدي .. فهو رجل بارع في عمله ، قادر على أن يجعلك تتحدث عن نفسك بأشياء ما كنت تحب أن تتحدث عنها .. وربما كان ذلك مفيداً ، فلست أدري .. نعم .. يجب أن يكون كذلك .. فقد أفادني في فهم نفسي ، ولو أنني لم أكن أحب أن أفهمها .. ولكن "جيرالد" أصر على ذلك .. - هل أفهم من ذلك أن صلتك بالدكتور زلرمان قد راققت لك ؟

فتطلعت إليه في ثبات ، وقالت :

- راققت لي ؟ .. ما الذي تعنيه بهذا القول تماما ؟ إنك أحيانا تقع فريسة عاطفتك إذا اثرت دفعة واحدة ..والعاطفة قوة دافعة لا يمكن تجاهلها .. فإذا وقعت فريسة لها ، فإن كل ما تفعله وقتئذ يروق لك .. حتى لو رحت تلعن نفسك بعد ذلك ، أو إذا لم تجد الجراحة للتحدث عنه.

- اتعنين أنه ليس قويم الخلق ؟

- وما هو الخلق القويم ؟ .. وكيف يتفق ذلك مع كونك من البشر ؟ .. إن مجرد كونك من البشر يجعلك تخضع لحوافز معينة . هكذا قال العالمان "فرويد" و"كرافت إبنج"

- وهل يخضع الدكتور " زلرمان" لحوافز معينة ؟

- لا ريب أنه يفعل .. حتى ولو قيل عنه إنه طبيب ساحر للنفس والعقل . فإن ذلك لا يغير أخلاقه قط .. وجميع العوامل والأشياء التي خلقت منه ما هو عليه الآن لا يمكن أن تتغير أو تتبدل .

فجرع "لويين" كاسه ، ووضع القدح الفارغ أمامه ، ثم قال :

- لقد أضعنا الكثير من وقتك يا مسز "ملدون" ، فشكرا لهذه المعونة الثمينة.

فنهضت السيدة وهي تبتسم ابتسامة رقيقة وقالت :

- لا تظنني متحاملة على الرجل .. فإن الذين يعتقدون أنه ملاك طاهر أكثر ممن يخالفونهم هذا الرأي .. ثم إنه في بعض الأحيان يكون

كذلك حقا .

ولم يسألها " لوبين " عن هذه الأحيان ، وإنما انصرف وأقالون حيث استقلا سيارة ذكر لسائقها عنوان " جيمس براثر " صاحب الاسم الثالث الذي رآه في فكرة زيارات الطبيب ، ثم راح يفكر فيما سمعه من مسز " ملدون " .

وأخيرا غمغم :

- لا ريب أن الرجل يمارس ابتزاز المال بالتهديد .. وليس يعنيني رأيها في " زلرمان " ، ولكنها ما كانت لتتحدث عنه بهذه المراهة لولا أنه يستنزف دمها بطريقة ما .. وعلينا أن نكتشف كيف يفعل ذلك .

- لست أحسب أنني يمكنني مساعدتك في هذا الأمر .. ولكني اعتقد أن السيدة قد تورطت في علاقات آثمة مع الطبيب أو مع غيره ..
- لعلك على صواب .

واستمر يتحدثان في هذا الأمر حتى بلغا منزل " براثر " ، فوجداه يقطن مسكناً أنيقاً في حي راق . وقد استقبلهما الرجل في غير حفاوة ، وطلب إليهما أن يجلسا ، ولكنه لم يعرض عليهما شراباً ، وإنما راح يذرع الحجرة مقطب الحاجبين عابساً . وكان في نحو الثلاثين من العمر ، ذو عينين زرقاوين واسعتين قد برزت حدقتاهما بما يذكر بهيئة السرطان البحري .

وأخيرا قال في جفاء :

- ماذا هنالك ؟ ..

فقدم له " لوبين " نفسه كمندوب لمجلة (تايم) ، وذكر له موضوع البحث الذي يقوم به ، فقال :

- أجل .. أجل .. ما الذي تريد أن تعرفه عن الدكتور " زلرمان " ؟ .. أي نوع هو من الرجال ، أم أي نوع من الأطباء ؟

- كلاهما ..

- أه ! حسنا .

وعندئذ دوى جرس التليفون ، فاعتذر " براثر " لزاثيريه ، ولبنى النداء ، وهو يصغي في إمعان واهتمام .. ثم القى نظرة على " لوبين " ، وهو يقول لمحدثه :

- نعم .. لقد فهمت .. إلى اللقاء ..

ثم تحول إلى "لوبين" قائلا :

- هل لك أن تتفضل بالخروج من هنا ؟

وكان "لوبين" في بادئ الأمر يتأمل مستر "برائر" في ازدياء ، ثم في تلذذ ، كما يرقب المرء شخصا في ورطة مضحكة ، ومن ثم لم يبال بقوله ، وقاد "أفالون" إلى أريكة مريحة ، ثم جلس إلى جانبها ، وأخرج من جيبه قلما مذهبا ومفكرة أنيقة ، وقد لاحت في عينيه تلك النظرة الساخرة وهو يقول :

- ما الذي كنت تريد قوله عن الدكتور "زلمان" ؟ ..

فراحت أصابع "جيمس برائر" تعبت بطرف ثوبه في عصبية شديدة وهو يهتف :

- أرجوك .. ينبغي أن تنصرف للتو ، فليس لدي وقت اقضيه معك الآن .. تعال غدا .. أو في الأسبوع التالي .. إنني على موعد بالغ الأهمية ، لم يكن منتظرا .. وإنني أسف لذلك .. ولكن .

ثم مضى إلى الباب وفتحته على مصراعيه ..

ففكر "لوبين" مليا ، ثم نهض وعاون "أفالون" على النهوض بالمثل .. فلما بلغا الباب قال لمستر "برائر" :

- سوف أعود فيما بعد ..

فاوما الرجل برأسه في حنق ولبث واقفا حتى سار الزائران بضع خطوات فصفق الباب في عنف ! فلما دخلت "أفالون" المصعد ، قال لها في همس :

- انتظريني في دهلز العمارة يا عزيزتي ..

ولما هبط بها المصعد مضى "لوبين" إلى أحد الأركان فاختبا به بحيث كان يستطيع أن يرى باب المصعد وباب مسكن "برائر" معا .. إذ كان على يقين من أن انتظاره لن يطول قبل أن يحدث شيء معين .. أما كنه هذا الشيء فلم يكن في وسعه أن يحده ..

وراح يفكر في الآثار الزائفة التي اقتفاها قبل أن تقوده غريزته وابحائه إلى قبو "كوكي" .. ترى هل تكون هذه إحداها ؟ .. وهل يسفر انتظاره عن أن الموعد الذي أثار انفعال "برائر" ولهفته لا صلة له البتة

بقضية تهريب المخدرات هذه ؟

وسمع أزيز المصعد ، وما لبث أن رآه يقف ، ويخرج منه شابان يدل مظهرهما على انهما قد عادا للتو من البحر .. ومع انهما كانا يرتديان ثيابا مدنية ، إلا أن البحر كان يبدو واضحا في بشريتهما اللتين لوحهما هواؤه ، وفي أيديهما الخشنة ، وفي مشيتهما المتارجحة .

ومضى الشابان قدما إلى باب " جيمس براثر " فقرعا الجرس وما لبث الباب أن فتح على الفور حيث دخلا وأغلق الباب خلفهما .. وعندئذ خرج "لوبين" من مكمنه وراح ينصت أمام الباب ولكنه لم يسمع شيئا ، إذ كان الباب .. سميكا محكم الغلق .. فهز رأسه في أسف ، ومضى نحو المصعد واستقله إلى الطابق الأسفل حيث وجد "أفالون" جالسة في انتظاره بالدلهيز فقال لها :

- لقد طرات لي فكرة لا بأس بها .. ولكنني لا أريد أن يراني أحد معك الآن قبل أن نستعد .. ولعل هذين البحارين يتأخران بضع دقائق ريثما أخبرك بها..

وخرجا من باب العمارة فدعا إحدى سيارات الأجرة ، وأعانها على الصعود إليها ثم قال :

- سوف يخرج الآن شابان من البحارة لعلك رايتهما عند حضورهما ، احدهما في ثوب رمادي والآخر في ثوب أزرق . الم يلاحظا وجودك ؟

- لقد كادت نظراتهما تخترقني ، ولكنهما لم يكلماني .
- اعذريهما يا عزيزتي ، فقد كانا مشغولي الفكر بامور مهمة .. ولكنهما سيفرغان منها عند خروجهما ، ويغدوان على استعداد للقيام بجولة في المدينة للمرح واللهو .. وسوف يذكرانك عند انصرافهما ويسرهما أن تصحبيهما لقضاء بعض الوقت في إنفاق الثروة التي اكتسبها أخيراً ..

فنظرت إليه "أفالون" في دهشة وقالت :

- لست أدري عن أي شيء تتحدث ؟

ولكن "لوبين" لم يكن بالذي يفصح عن أغراضه ، حتى ولو كان ذلك لفئة جميلة مثل "أفالون دكستر" .. فهو لا يدري حتى الآن حقيقة

موقفها منه .. وإذا كانت من افراد العصابة وتؤدي دورا بارعاً لخداعه، وهي فكرة يحس بان كل جارحة في جسمه تعارضها وتثور في وجهها ، فإنها قد تعرف إن كان يسير وراء اثر صحيح ام خاطئ .. وسوف تؤدي معرفتها هذه إلى تحذير الشابين اللذين في مسكن جيمس براثر الآن .. ولذلك ابتسم في دعة ، وقال :

- إنني نفسي لست انري عن أي شيء اتحدث يا صغيرتي ولكن إذا صح حدسي فإن هذين الفتين سوف يخرجان من هنا ولديهما رغبة واحدة ، هي البحث عن اسرع وسيلة للهو والمرح .

وكان "لوبين" قد رسم خطته في لمحة خاطفة ، إذ كان يريد أن يتحدث إلى هذين الشابين دون أن يعرفا أنه قد تعمد ذلك .. فاستطرد قائلاً :

- هل لك أن تسدي إلي صنيعاً صغيراً يا عزيزتي ؟

- بلا ريب .. إنني افعل المستحيل من أجلك .

- إنني أريد أن تعودني ثانية إلى ذلك المنزل وتنتظري في دهليزه .. فصمتت "أفالون" لحظة وجيزة ثم قالت :

- لقد فهمت غرضك .. ولكن ما هي الصفة التي اقدمك بها إليهما ؟
- مدير أعمالك ..

- أجل .. إذن فانت تريد أن اجعلهما يريانني عند خروجهما ويتعرفان بي وفي اللحظة التي نخرج فيها إلى الطريق تظهر انت قادما بهذه السيارة فاقول لهما إنني لا أستطيع الذهاب معهما . ولكنك تسمح لي بذلك على شرط أن ترافقنا ، وعندئذ نستقل السيارة جميعاً .. اليس كذلك؟

فقبلها "لوبين" في إعجاب ، واوما موافقا ، وعندئذ غادرت السيارة إلى المنزل يتبعها بنظراته برهة وقد انهشه نكاؤها الخارق إذ استطاعت أن تحدد خطته بأدق تفاصيلها دون أن يذكر لها سوى فكرة عامة عنها .

واستقل السيارة بدوره وطلب إلى السائق أن يقف بها في طريق جانبي ويتأهب لأول إشارة منه .

ولم تمض دقائق معدودات حتى رأى "لوبين" "أفالون" بكستر" تبدو من باب المنزل ومعها الفتیان .. وفي اللحظة التالية ، كان يقف بالسيارة

امامهم ، ويفتح بابها قائلا :

- معذرة يا عزيزتي .. لقد تاخرت كثيرا خشيت الا اجدك .

- نعم ، لقد حضرت اخيرا ، وكنت اوشك ان انصرف .. حسنا ! اما

وقد حضرت .. على فكرة اقدم لك "جوهيمان" ، و"سام جفريز" .

فصافحهما "لويين" قائلا في مرح :

- اسمي "سيمون سمبلون" .. إلى أين تريدون الذهاب ؟

فقالت "افالون" في ارتباك :

- إنني لست واثقة من انك مدعو إلى هذه النزهة يا "سيمون" .. لقد

كنت مع هذين السيدين نعتزم القيام بجولة في المدينة ..

- ولكني مدير أعمالك يا عزيزتي ، ولا يمكنك أن تعلمي أي شيء

دون موافقتي .

فرفعت الفتاة حاجبها وقالت :

- أي شيء ؟ ..

- حسنا ! .

وارتبك الفتان بالمثل ، ولكن "افالون" طرقت الأرض بقدمها في حلق

وقالت :

- إنك تعرف ما أعنيه ..

فقال "لويين" في صراحة :

- إنني مدير أعمالك يا مس "دكستر" بحكم القانون .. ومن حقي أن

أقدم لك مشورتي فيما يختص بانتقالك هنا أو هناك ، وعليك أن تعلمي

بهذه المشورة .

فقوست شفتيها في ازدراء ، وغمغت :

- هل كونك مدير أعمالك يكسبك حق التدخل في شؤوني

الشخصية؟ ..

- أخشى أن يكون الأمر كذلك رغم ما فيه من هوان ..

وكان الفتان يتمللمان في وقفتهما وينقلان قدما بعد الأخرى .. في

حين كان "لويين" يود أن ينقض على "افالون" ويقبلها إذ كانت تؤدي

دورها في براعة عجيبة وهي ترمقه بنظرات السخط والحلق ..

واخيرا قال "سام جفريز" :

- لقد كنا نوشك أن نقوم بجولة سريعة في المدينة ..

ففكر "لوبيين" قليلا ثم قال :

- إنها فكرة طيبة .. لماذا لا نقوم بها جميعا ؟ ..

ونظر كل من الفتيين إلى "أفالون" ، فما كانا يرغبان في أن يصحبهما رقيب ونظرت إليهما بدورها ، ثم إلى "لوبيين" ، ثم هزت كتفيها في غير اكتراث ..

وعندئذ قال "جوهيمان" :

- ولم لا ؟ ..

وهكذا استقلوا جميعا تلك السيارة .. وفيما كان "لوبيين" يتبعهم إلى داخلها رفع نظره إلى أعلى ، فرأى وجه "جيمس براتر" مطلا من إحدى النوافذ .

تعهد "لوبيين" أن يكون مجلسه في أحد المقعدين الأماميين الصغيرين، وظهره إلى السائق ، حتى تتاح له فرصة النظر من النافذة الخلفية فيعلم إن كان هناك من يقتفي أثرهم ..

ولكنه ما كاد يجلس حتى لاحظ أن "سام جفرين" قد أخرج مسدسا من جيبه صوبه نحوه ، وراح يحدجه بنظراته فترة طويلة قبل أن يقول :
- يا لك من رجل عنيد ! .. بل لقد سمعنا أنك أكثر من ذلك .. ولكن اتحسبني لم أعرفك ؟ .. لقد نشرت لك الصحف صورا كثيرة .. فانت "أرسين لوبيين" !

فابتسم "لوبيين" ابتسامة رقيقة ، وقال :

- هل الأمر كذلك ؟ .. وما دمت تتكلم بهذه الصراحة فلماذا إذن تهددني بهذا المسدس ؟ ..

فشهقت "أفالون" ، وكانت لم تر المسدس بعد .. بينما قال "سام جفرين"

- حسنا .. أحسب أنه ليس ضروريا .. فإنني لن أطلق النار عليك إلا إذا حاولت خداعنا بأكثر مما فعلت الآن ..

- ولكنني في الواقع مدير أعمال هذه السيدة ، فهي مغنية في النوادي الليلية..

- إنني لا اعترض على هذا القول بشيء الآن .. وسوف نرى ..

وبدا "لوبين" يتحسس جيبه الداخلي وهو يقول :

- هل لي أن ادخن ؟

- بلا ريب ..

فاخرج "لوبين" علبة سجائره ، وأشعل لفافة منها ، ثم أعادها إلى جيبه ، وهو ينتهز الفرصة ليتحسس المذبة التي يربطها إلى ثراعه حتى يستوثق من وجودها .

واستطرد "سام جفريز" :

- حسنا .. إنني لم أعرفك في بادئ الأمر ، ولكنني تبينت حقيقتك بعد أن ركبنا السيارة معك ، فساءلت في نفسي ماذا يريد "لوبين" من شخصين مثلنا ؟ فلما لم أستطع معرفة ما تسعى إليه ، قلت إن خير وسيلة هي أن اتحفظ للدفاع عن نفسي فاخرجت مسدسي .

فتنهذ "لوبين" في ارتياح ، إذ تبين أن "سام جفريز" قد فوجئ بظهوره أمامه ولو أن "أفالون" كانت ضمن العصابة لحذرتهما منه قبل خروجها معهما .. ولكنها لم تفعل .. ولكن من يدري ؟ .. ربما حذرتهما "أفالون" منه ، ولكنها ببراءتها رسمت لهما هذه الخطة حتى لا يرتاب "لوبين" في أمرها . وهكذا كان "لوبين" في حيرة من حقيقة أمر الفتاة .. ويرى أهمية قصوى في الوصول إلى رأي حاسم عن نواياها وأغراضها .. خصوصا وأنه يرى نفسه يسير في الأثر الصحيح نحو الهدف الذي يرمي إليه ، ما دام الأمر ذا صلة برجال البحر ..

ففي وسعه أن يتصور تلك البواخر التي ترحل من (نيويورك) ، لتخترق قناتي بنما ، أو (السويس) في طريقها شرقا أو غربا ، ووجهتها دائما إلى بلاد الشرق الأقصى .. منها ناقلات البضائع الصغيرة ، ومنها بواخر الركاب الكبيرة الذاهبة إلى (كلكتا) أو (سنغافورة) أو (شنغهاي) .. وفي هذه أو تلك يرى أحد البحارة يهبط في أحد تلك الموانئ ، ويذهب إلى عنوان معين فيقول : "لقد أرسلني جورج .. فتكون هذه العبارة السحرية أشبه بعبارة (افتح يا سمسم) ، تفتح له الأبواب المغلقة ، وتضع أمامه طعاما دسما وشرابا سائغا .. وفي نهاية زيارته يعطى لفافة كبيرة أو صغيرة ليعود بها إلى نيويورك ويسلمها إلى (جورج) .

و(جورج) ، في قصتنا هذه ، هو "جيمس براثر" .

ولكن لحساب من يعمل هؤلاء البحارة الاغرار حقا ؟ ..

إن "جيمس براثر" لا يمكن أن يكون إلا وسيطا بينهم وبين .. بين من
يا ترى؟ هذه هي المسألة التي تتطلب الحل الذي ينشده "لوبين" ،
وينشده معه مستر "هاملتون" مدير مكتب المخدرات في (واشنطن) .
وأخيرا قال - "سام جفرين" :

- هل تريد أن أريك تذكرة عضويتي في اتحاد الوكلاء ؟

- لتثبت لي أنك وكيل أعمالها ؟ .. كلا .. لا داعي لذلك الآن .. وربما
كنت قد تسرعت قليلا .. فما قولك في أن ننسى ما حدث ؟

- أحب أن نتصافح باليد اليسرى ، أم تفضل أن تعيد هذه الآلة
الجهنمية إلى جيبك ؟

فضحك "سام جفرين" ، ووضع المسدس في جيبه ، ثم صافح "لوبين"
بيد خشنة صلبة ، جعل يهزها في عنف وقوة ، فقالت "أفالون" وهي
تبتسم :

- ولكنكم لم تقولوا للسائق حتى الآن أين يذهب بنا ..

- إنك ضيفة الشرف الليلة يا مس "دكستر" فلماذا لا تذكرين المكان
الذي تفضلين الذهاب إليه ؟ .

فنظرت الفتاة إلى "لوبين" ، ولكنه كان ينظر إلى الخارج ..
وعندئذ التفتت إلى "جوهيمان" قائلة :

- لنذهب إلى حيث يختار "جو" .

فبدت الحيرة في أسارير الفتى .. وتردد طويلا وقد اصططع .. وجهه
بحمرة الخجل إذ رأى انظارهم جميعا تتطلع إليه في انتظار قراره ..
وأخيرا اشرق وجهه وقال :

- لماذا لا نذهب عند "كوكي" ؟ .

ولم يكن "لوبين" يحب الذهاب إلى الملهى في صحبة الفتيتين ولكنه من
ناحية أخرى رأى في ذلك وسيلة لاستطلاع أخبار معسكر الاعداء ..
فقد رآه "جيمس براثر" يغادر منزله في صحبة "أفالون" والبحارين ..
وإذا صح حدسه فإن هذا الأمر جدير بأن يبلغه "براث" للتقو إلى مركز
القيادة .. فإذا ذهبوا جميعا إلى الملهى ، في تلك الساعة المبكرة ، فقد

يقدم الأعداء على العمل في صراحة ، وعندئذ تنكشف له أمورهم على حقيقتها .. ولذلك فقد غمغم :

- إنها فكرة طيبة ..

وعندئذ ماتت الكلمات التي أوشكت "أفالون" على النطق بها على شفيتها .. فقد كانت تريد أن تقول إن ذلك الملهى يكون سخيفا مملا في تلك الساعة المبكرة ، وإنها لا تحب الذهاب إليه ، ولكن عندما أبدى "لوبيين" موافقته ، أخذت إلى الصمت وهي تلقي عليه نظرة حائرة ..

وأحب "لوبيين" أن يعرف ما يبطن الفتى ، فقال :

- ولكن لماذا اخترت "كوكي" بالذات ؟

فاجاب "سام جفريز" :

- إن زملائي لا يفتنون يقولون إنه مكان جميل يقضي فيه المرء وقتا طيبا .. فإن المرء إذا عاد من الشرق الأقصى يحتاج إلى مكان مثل هذا ليستمتع فيه بإجازته ..

- أه ! .. وهل سمعت باسم "كوكي" ، في الشرق الأقصى ؟

- أجل .. من بحارة البواخر الأخرى ..

- ولكنك لم تذهب إليها قط ؟

- كلا ..

- ليتني أذهب إلى الشرق مرة ! .. فإن له سحرا يشوقني إلى

رؤيته .. ترى أين كنتما في رحلتكما الأخيرة ؟

وبينما مضى "سام" يعدد الجهات التي مرا بها كان "لوبيين" يفكر في تلك الحقيقة ، وهي أنهما لم يذهبا إلى قبو "كوكي" ويخيل إليه أن ذلك لا يتفق والفكرة التي كونها في بادئ الأمر ..

وشعر بأن هناك حلقة للاتصال بين بحارة البواخر وبين قبو "كوكي"

فهل هو "جيمس براثر" ؟ أم المرحوم "البرت برادفورد فولي" ؟ ..

ثم إن "فولي" كان على صلة بالدكتور "زلمان" .. وهذا الأخير وثيق العلاقة بقبو (كوكي) أو بالأحرى بشخص معين فلا ريب أن هناك حلقة معينة تربط بين هؤلاء جميعاً .

ومهما يكن من أمر ، فقد ذهبوا إلى الملهى .. وكان خاويا إلا من بعض الرواد المتناثرين هنا وهناك .

ومن هؤلاء كان 'جيمس براتر' ، منهمكا في الحديث مع 'كاي ناتيللو'.. وما كاد يلحظ دخولهم حتى ضاقت عيناه ، وغادر مائدته ومضى يسير نحوهم في تمهل .

- ٥ -

أحس 'لوبيين' بحاسته السادسة المرفهة ، بنظرات 'جيمس براتر' وهي تخترق ظهره ، فالتقى نظرة سريعة خلفه ، ورأى الرجل وهو يتقدم نحوهم ، فادرك للتو أنه يريد أن يتحدث إليه ، بل لقد كان في وسعه أن يحبس كل كلمة من العبارات التي سيوجهها 'براتر' إليه .. ومن ثم همس في أذن 'أفالون' قائلاً :

- خذي زميليك إلى إحدى الموائد البعيدة ، وسالحي بكم بعد أن اتبادل كلمتين مع صديقنا هذا .

فسارت الفتاة بين الشابين إلى الطرف الأقصى للقاعة على حين وقف 'لوبيين' في انتظار 'جيمس براتر' الذي ابتدره قائلاً :

- ما الذي جئت تفعله هنا بحق السماء ؟

فارتسمت على شفتي 'لوبيين' ابتسامته المألوفة المظاهرة البراعة ، كما التمعت في عينيه لمحة السخرية التي طالما عصفت بأعصاب أعدائه ، بحيث تلمل 'براتر' في وقفته وأخذ يجول بنظراته هنا وهناك وهو لا يستطيع أن يواجه بها 'لوبيين' فمرت نظراته على البحارين وهما في صحبة 'أفالون' ، ولكنه لم يبد في عينيه ما يدل على أنه يعرفهما .. وأخيراً أجاب 'لوبيين' :

- لقد بذل كثير من أبناء هذه البلاد دماءهم في سبيل الحرية والديمقراطية يا صديقي العزيز ، حتى فازوا بها وغدت تعاليمهم دستوراً موروثاً على كر السنين .. ومنها أنه من حق مواطن مثلي أن يدخل أي محل عام يعجبه ، حتى لو كان وكراً خبيثاً ، فاسد الهواء يقدم أشربة مغشوشة كهذا !

فاجاب 'براتر' في دهشة وحنق :

-إن وراء مسلكك هذا شيئاً لا أفهمه .. ففي بادئ الأمر جئت إلى

مسكني بتلك الاكذوبة الصارخة عن الصحف والابحاث .. ثم تبعني إلى هنا بعد ذلك .. فلماذا ؟ إنني اعرف من انت ! .. فانت ارسين لويين ! ولكني رغم ذلك لا استطيع ان افهم لماذا تتبعني إلى هنا ؟ ..

- اتبعك ؟ إنك يا بني لست بالذي اتبعه إلى مثل هذا الركن من الفردوس المفقود .. ولكن ما دمت قد استطعت الحضور إلى هنا بمثل سرعة البرق فيسرني أن أراك ، وأن اصل ما انقطع من حديثي معك .. لماذا لا تجلس معنا ؟ إنني لا أزال في حاجة إلى جمع المعلومات التي أريدها ..

فنظر "برائر" إلى المائدة التي جلست إليها "افالون" والفتيان في إمعان ثم اجاب :

- شكرا لك .. يسرني ان اقبل دعوتك .

فلما بلغا المائدة ، كان "سام جفريز" يقول مسترسلا كأنما يتم حديثا بداه - - .. وكان هناك ذلك الرجل الذي كان ينبغي لنا مقابلته في (شنتهاي) .. واراد "جو" ان يشرب حتى يثمل اولا ، ولكنني قلت له إننا يجب ان نرى ذلك الرجل قبل ان ..

ولكنه قطع حديثه ، ورفع ناظريه إلى أعلى .. وبدت عليه لمحة من المعرفة حين نظر إلى "برائر" في غير دهشة أو تعجب ومع ذلك قال -

"لويين" :

- لقد كنت أحدث مس "دكستر" عن رحلتنا الأخيرة ..

وحدث شيء وقتئذ ، ولكن "لويين" لم يتبينه تماما .. وقد يكون ذلك الشيء نظرة ذات مغزى ، أو وكزة بالذراع أو بالقدم أو إيماءة خفيفة من "جيمس برائر" .. فقد كف "سام جفريز" عن الاسترسال بغثة .. ولم يكن ينظر إلى "برائر" أو إلى غيره من الحاضرين ، ومع ذلك فقد بدت عليه علامات التفكير العميق وخبأ تالق عينيه فغدت نظراتهما باردة جوفاء ..

ونهض الشابان عندما قدم لهما "لويين" "جيمس برائر" ، فصافحاه في جمود وبغير احتفاء .. وظل "سام" واقفا ثم قال لرفيقه :

- يحسن أن ننصرف الآن يا "جو" ..

- كما تشاء ..

فقالت "أفالون" ، وهي تعلم أن الشابين قد عقدا النية على الانصراف:

- لا تذهبا الآن .. فإنكما لم تمكثا إلا لحظة وجيزة .

بينما قال "لوبين" :

- اتمضيان الآن والحفلة توشك أن تبدأ ؟

فقال "سام" :

- إنك تعلم يا "لوبين" أننا قد عدنا للتو من رحلة طويلة ، وينبغي أن

يبحث كل منا عن فئاته .. خصوصا وأن الأنسة "دكستر" مشغولة

معك ..

وتصافح الجميع ثانية .. ومضى الفتیان في طريقهما .. وتقدمت

"كاي ناتيللو" نحوهم لتحیی "لوبين" و"أفالون" ، ولكنها لم تمكث

طويلا .. فما كادت تنصرف حتى قال "لوبين" لـ "برائر" :

- والآن حدثنا عن الدكتور "زلمان" .

فلم تطرف عين "برائر" ، ولم يبد عليه القلق والاضطراب وهو يقول :

- وماذا يمكن أن أقوله عنه ؟ إنه طبيب نفسي .. وقد يكون بارعا ..

ولكنه على أية حال يتقاضى أجورا عالية .

- حسنا .. دعنا منه الآن ، ولننصرف إلى ضرب آخر من التسلية ..

فرفعت "أفالون" حاجبيها دهشة ، وقالت :

- وكيف تنوي أن تفعل ذلك ؟

فابتسم "لوبين" في دعة ، وقال :

- باختبار معرفتي باللغات يا عزيزتي ..

ثم مال نحو "برائر" وحده بنظراته قائلا :

- فمثلا هل تعرف كلمة "كوجاك" ؟

فلما أخذ الرجل إلى الصمت ، استطرد "لوبين" مفسرا :

- إنه اصطلاح يطلق على زهر نبات معين يزرع غالبا في آسيا ..

فعندما يجف ساق النبات ، وتتساقط أوراقه ، تفرك الأزهار الهشة

بالأصابع وتتحول إلى مسحوق هو الذي يسمى "كوجاك" .
فقال "أفالون" :

- ما الذي تتكلم عنه ؟

- اعتقد أن مستر "براثر" يمكن أن يفهم ما قلت ..

فاختلجت أهداب "براثر" وقال :

- إني أسف .. فلست أفهم ما تعنيه .

- أه ! هذا لا يهم .. فلنتحدث إذن عن شيء آخر ..

ولاحظ "لوبين" في تلك اللحظة ، أن "كاي ناتيللو" التي كانت تقف في
ركن قصي ، قد غادرت القاعة من باب خلفي .. فهل أشار لها "براثر"
إشارة خفيفة لم يرها هو (أي "لوبين") ؟

ثم استطرد قائلاً :

- لا ريب أنك تحيا حياة مشوقة يا مستر "براثر" باتصالك بمعظم
موانئ العالم .

فحملق إليه "براثر" ، وقال :

- إنك تتكلم بالاحاجي والألغاز يا "لوبين" .. فلست أفهم ما الذي
تعنيه؟

ولم يكن ثمة مجال للشك في صدق الدهشة التي ارتسمت في هاتين
العينين الزرقاوين ، مما دعا "لوبين" إلى التمهّل قليلاً في هجومه ..
فقد كان استنتاجه عن العصابة التي يطاردها أن "براثر" هو أحد
الأركان المهمة فيها .. وقد أكد "سام جفريز" هذا الرأي في حديثه الذي
لم يتمه عندما كان يقول لـ "أفالون" :

"وكان هناك ذلك الرجل الذي كان ينبغي لنا مقابله في شنغهاي"
فإن ذلك كان يتفق مع نظرية "لوبين" عن عبارة (لقد أرسلني
جورج...).. فقد تم الاتصال بين "سام جفريز" والعصابة هنا ، وتزويده
بالتعليمات اللازمة ، وربما بدفعة على الحساب .. ثم استلام لغافة
كبيرة أو صغيرة في أحد موانئ الشرق ، وإحضارها لتسليمها إلى
"جيمس براثر" في نيويورك . لقد كانت النظرية سليمة من كل الوجوه

.. ومع ذلك فإن الدهشة التي تبدت في أسارير الرجل تدل على أنه لم يفهم تلميح "لوبين" حقا .. فهل كان "برائر" أبرع مما يبدو عليه ؟ وهل كان يؤدي دوراً معيناً لتضليل "لوبين" وإبعاده عن الأثر الصحيح ؟ أم أنه لم يفهم غرض "لوبين" حقا ؟ ولكن إذا كان الأمر كذلك فلماذا حضر إلى الملهى راساً عقب الزيارة التي تلقاها من اثنين من البحارة عاداً من الشرق توا ؟

لا ريب أن لمستر "برائر" صلة بهذا الأمر .. وعلى "لوبين" أن يحدد هذه الصلة تماماً .. فاستطرد قائلاً :

- حسناً .. هذا لا يهم أيضاً .. فلدينا أشياء أخرى أكثر أهمية لننتحدث عنها ولكن يجدر بنا أن نملاً كؤوسنا ثانية ..

ثم دعا الساقى وأمره باحضار ثلاث كؤوس أخرى من الشراب الذي كانوا يشربونه ، وبعدئذ أردف يقول لـ "برائر" وهو يتسهم :

- إنني لم أكن أصيد في الظلام حقا ، ولكني أعتقد أن ملاحظاتي لم يجانبها الصواب
فاجاب "برائر" :

- مهما كان ما تقوله فإنني أحب حديثك .. فإن لك صوتاً مشوقاً جذاباً .. ومع ذلك فلست أرى ما الذي يدعوك إلى إنفاق وقتك معي ..
- هل نسيت أنني لا أزال أجري تحرياتي عن الدكتور "زلمان" ؟
قهقه "برائر" وقال :

- لقد نسيت حقا .. آه .. ها هو ذا الشراب قد حضر ..
وكان الساقى ، وهو رجل وحشي الصورة أشبه بحداد القرية ، قادماً نحوهم ومعه أقداح الشراب... ولكن عين "لوبين" المدربة تبينت التغيير الذي وقع للساقى وللشراب معا .. فقد كان الساقى عندما تلقى أمره وهرع لتنفيذه يبدو خاضعاً دمث الخلق شأن من يرغب في إرضاء الزبائن .. أما الآن فقد حضر وعلى محياه مظاهر التحفز للشر .. كما أن الشراب الذي جلبه لم يكن الشراب المطلوب ، وإنما كان غيره!..
فلما بدا يضع الأقداح على المائدة قال "لوبين" له :

- أسف .. لم اطلب هذا الشراب ..
فقال الساقى في قحة :
- ماذا ؟ .. هل تريد إثارة المتاعب ؟ ..
- كلا ! .. بل أريد فقط الشراب الذي طلبته .
- بل يخيل إلي أنك تريد العراك ، فقد طلبت شرابا معينا ، والآن تتكلم عن غيره فما الذي تسعى وراءه ؟
- لا شيء .. إنني أحاول الحصول على الشراب الذي طلبته ..
- وماذا أفعل بهذه الكؤوس ؟
- إذا كنت قد أخطأت فإنني مستعد لتحمل ثمنها .. أما إذا كنت قد تعمدت الخطأ فيمكنك أن تسكبها فوق رأسك ..
- فتطلع إليه الساقى في قحة بادية ، ورفع الساقى الاقداح ثم مضى بها .. بينما ظل "لوبين" محتفظا بهدوئه ، وراح يتحدث عن الصور المنقوشة على الجدران بريشة مستر "بيرفيلد" الذي ينبض بالانوثة !
- فلما حضر الساقى ثانية ، كان من الواضح أن في الأمر سرا ، إذ جلب شرابا من نوع جديد غير الذي يريده "لوبين" فلما نبهه إلى ذلك ثار متوقعا وأبى أن يستبدله ، وأشار إلى مدير الملهى فحضر على عجل سائلا عما حدث.. فلما أخبره "لوبين" بشكواه قال في ترفع :
- إذا كانت الخدمة هنا لا تعجبك فلماذا لا تنصرف ؟ ..
- ولماذا ؟ ..
- لا شيء .. فإننا نحتفظ لأنفسنا بالحق المطلق في رفض تقديم الشراب لأي شخص وهاك اللافتة التي كتب عليها ذلك -
- ثم أشار إلى لافتة صغيرة معلقة فوق (المقهى) ..
- إذن فأنتم ترفضون تقديم شيء لي ؟
- لن نستخدم هذا الحق إذا لم تثر المتاعب .. وهذا آخر تحذير لك ..
- ثم أشار إلى الساقى بيده قائلا :
- احضر له ما طلب ..
- ومع ذلك فقد عاد الساقى للمرة الثالثة بغير الشراب المطلوب ، فما

كاد "لوبيين" يراه حتى قال وهو يبتسم في جذل :

- لقد صبرت عليك كثيرا يا بني ، وتلقيت قحتك وسلاطتك في صبر وحلم .. ولكنني احذرك بانك إذا لم تجلب لنا الشراب المطلوب في المرة القادمة ، فسوف اجعل والدتك تندم على انها لم تؤدبك قبل ان اتولى عنها ذلك ..

-إذن فانت تبغي العراك ؟ .. حسنا .. هالو "جاك" !

فكف عامل البار عن العمل الذي كان بيده .. وكان يبدو انه هو المسمى "جاك" .. وكان عملاقا يبلغ المترين طولا ، عريض المنكبين ، بادي الشراسة ، كانه مصارع قديم وما لبث ان خرج ثم اشار إلى ساق ثابان يتبعه ..

ولم يتحرك "لوبيين" من مكانه قيد شعره كما لم تغب الابتسامة عن شفتيه ، وظل يرقب الكتيبة التي تحركت نحوه ، كما يرقب ملهاة مسلية ، وهو يزن قوتهم وسرعة حركاتهم .

وكان يرى الاهتمام باديا في عيني "برائر" ، والقلق .. مرتسما في أسارير "أفالون" ويدها المنقبضتان في تحفز .. ومع ذلك فقد ظل كما هو حتى دنا منه "جاك" ورفيقه وقالوا في هدوء :

- هيا اخرج من هنا ..

فلم يتحرك "لوبيين" وإنما تظاهر بالدهشة ، وقال :

- ماذا ؟ ما معنى هذه القحة ، يجب ان يحضر المدير حالا ليفسر هذا المسلك ..

- إن المدير ليس في حاجة إلى تفسير شيء .. فسننولي نحن التفسير اللازم ..

- إذن افعل يا بني .. وعجل ..

وعندئذ قالت "أفالون" :

- ما معنى هذا يا "جاك" ؟

- إن المدير لا يريد هنا ، وهذا كل شيء ... وسوف نلقي به خارجا إذا لم ينسحب في هدوء ..

ثم تحول إلى لوبين قائلا :

- اسمع .. هل تريد أن نجعل وجهك مستويا كالفطيرة ؟

ام تذهب إلى الجحيم بوجه سليم ؟

فاشار لوبين إلى المائدة أمامه وقال :

- ولكني لم أفرغ من احتساء شرابي .. وكذلك صديقتي ؟

- يمكنها أن تنتظر .. ولكنك أنت الذي ستخرج ..

فابتسم لوبين في سخرية وقال :

- لقد كنت دائما أعجب مما يدفع بعض الحمقى إلى طلب

المستحيل .. فينبغي أن يعلم كل شخص هنا أنني لن أخرج إلا مع مس
دكستر ..

- هل تريد أن تخرج على قدميك ام محمولا على الأعناق ؟

وكان جاك يقول ذلك في هدوء تام كأنما يلقي سؤالاً عادياً طبيعياً ..

وعندئذ نهض لوبين في تراخ وهو يقول :

- معذرة يا مستر براثر فقد بدا حديثنا يشوقني كثيراً .. ولكني

سوف أكون معك بعد لحظة .. فهؤلاء الأولاد قد أقلقهم الانتظار ويجب
أن أفرغ منهم أولاً ..

ثم تحول إلى جاك ، وأردف :

- ما ينبغي أن تكون ولداً شريفاً يا جاك .. هكذا حذرك أبوك من

قبل .. فاذهب الآن والعب مع رفاقك ولا تحاول قطع الحديث على من هم
أكبر منك سناً ...

فاشار جاك إلى الساقين ، وتقدموا جميعاً دفعة واحدة .. ولكن

لوبين أسرع في حركة خاطفة بالقضاء على الساقين الذي جاء مع

جاك ، فصبوب إلى وجهه لكمة جمع فيها مائة وثمانين رطلاً من

العضلات الفولاذية ، فطوحت بالرجل إلى الجدار حيث جلس ممدود

الساقين جاحظ العينين فاغر الفم تحت صورة من رسم مستر

بيرفيلد .

وانتهز جاك هذه الفرصة الخاطفة فانقض على لوبين وطوقه

بذراعه في قوة شديدة شعر بها "لوبيين" حول خصره ككلاية من الحديد.. وفي الوقت نفسه انتهن الساقى الثاني الفرصة ليركل "لوبيين" في بطنه .. ولكن "لوبيين" انحنى إلى الامام وامسك بركبة الرجل وراح يثنيها في عنف فلم تمض لحظات حتى سمع الحاضرون صوت طقطقة العظام وهي تنخلع من مكانها ، كما سمعوا الصيحة التي انبعثت منه اشبه بعواء ذئب جريح ..

وعندئذ تفرغ "لوبيين" للمدعو "جاك" ... فخلص نفسه من قبضته ثم تحول فلكمه بيسراه في فكه لكمة جعلته يرفع قامته ، ثم ثنى بيميناه في بطنه فجعلته ينحني من فرط الألم .. وتوالت اللكمات على هذا المنوال حتى غدا "جاك" اشبه برجل مفرط الادب يوالي الانحناء امام سيد له عالي القدر ! ..

وبلكمة قاضية ، انزلق "جاك" على ظهره بين الموائد مستقرا في وضع مريح وهو يحدق إلى السقف بعينين جامدتين ..
وعندئذ تحول "لوبيين" نحو "آفالون" ، قائلا في مرح :
- هل تحبين ان ننصرف يا عزيزتي ؟

ولقد رأى "لوبيين" فيما حدث في الملهى من تعمد التحرش به والاعتداء عليه ، دليلا جديدا على ان افراد العصابة راوا في اهتمامه بامرهم ما يقلقهم .. فإنهم بعد ان كشفوا شخصيته ، وتبينوا ان له غرضا معيناً من التدخل في شؤونهم ، لم يستطيعوا الصبر على فضوله ، ومن ثم بدعوا يناصبونه العداء سافرا .. وإذا كان "لوبيين" في حاجة إلى تعديل خطته بعد ذلك ، فإنما كي يكون اكثر حذرا في المستقبل ...

وقد فشل في معرفة المزيد عن موضع مستر "براثر" الصحيح في تلك المغامرة ، او العلاقة بين سائر افراد تلك العصابة التي يحاول "لوبيين" الكشف عن خفاياها .. بل إنه فشل أيضا في معرفة حقيقة الدور الذي تلعبه "آفالون دكستر" نفسها ... فعلى الرغم من توثق الصلة بينهما ، فإنه لم يستطع معرفة شيء عنها او منها .

ومع ذلك فإنه عندما اتصل بها في التليفون في الصباح التالي ، كان
صوته مشبعاً بالعاطفة الحارة والحب الملهب ..

وأجابت تحيته قائلة :

- طاب صباحك يا عزيزي ... فكيف حالك اليوم ؟

- إنني شديد الانفعال !

- ولماذا يا ترى ؟

- لأنني على موعد للغداء !

فتنهت الفتاة في أسي ، وعندئذ ضحك "لوبين" وقال :

- مع فتاة جميلة ... اسمها "أفالون" !

فشهقت "أفالون" من الفرح ، وهتفت :

- أه ! .. ولكنني لا أنوي الحضور !

- محال .. فإنك مدعوة معي للغداء مع الدكتور "زلمان"

- هل اتصلت به ؟

- إنه هو الذي اتصل بي ثانية فلم أستطع التخلص منه هذه المرة ..

والواقع إنني عولت على تلبية الدعوة لأن إلحاحه هذا قد أقلقني ،

وأود أن أعرف المزيد عنه .. ولا اعتقد أنه قادر على تدبير مؤامرة في

مطعم (٢١) الفاخر ..

- وهل الدعوة هناك ؟

- نعم وسوف أمر بك في الساعة الثانية عشرة تماماً ..

وفي الموعد المحدد ، كانا يجتازان باب المطعم .. فلما سال "لوبين" عن

المائدة المعدة لهما قيل له إن الدكتور "زلمان" ينتظرهما ..

وكان الطبيب يقف في انتظارهما وهما يجتازان القاعة الكبرى

نحوه ، وقد بدا بطوله الفارع وثيابه الأنيقة ورأسه المرفوع المجلل

بالشيب أشبه بفرسان العصور الوسطى ..

وهش لهما قائلاً :

- يا عزيزي مستر "لوبين" ويا عزيزتي الأنسة "دكستر" .. شد ما

يسرني أنكما حضرتما في الميعاد .. هلا جلستما ؟

فجلس الثلاثة حول المائدة واستطرد الطبيب : إنني يا مس 'دكتور'
أجد لزاما علي أن أعتذر عما بدر مني في تلك الليلة ...
فاجابته الفتاة :

- لا عليك يا دكتور ... لقد نلت جزاءك ..

فتورد وجه الطبيب قليلا وهو يلتفت إلى 'لوبين' قائلا :
- واعتذاري لك أيضا يا سيدي ..
فغمغم 'لوبين' :

- العفو يا دكتور !

وأردف 'زلمان' يقول :

- يمكننا أن ننسى هذا الأمر كله ، ونغدو أصدقاء ، حتى نستمتع
بالطعام فإنني أتناول طعامي هنا دائما لأنه يقدم أصنافا ممتازة و ...
ومضى الحديث على هذا النحو ، بينما كان 'لوبين' يجوب القاعة
بنظراته المستطلعة ويرقب الخدم وهم يروحون ويغدون في خفة
وسرعة بثيابهم النظيفة الأنيقة ..

وطلب الدكتور 'زلمان' كؤوسا من الشراب الفاخر قبل الطعام ، فقال
لوبين: - إنه جميل منك أن تدعونا للغداء ... فقد كان عمي يقول إن
الطعام المجاني هو خير الأطعمة والذها ! ..
فابتسم الدكتور 'زلمان' ، وقال :

- ولكنني أشعر يا مستر 'لوبين' أنك قلما تدعى إلى الطعام ، لقلّة من
يجاملونك .

فلم يزد 'لوبين' على أن هتف :

- أه ! ..

وحول عينيه إلى 'أفالون' وهي تجلس في هدوء ، وقد اتسعت
عيناهما في دهشة وتساؤل .. على حين طرق الطبيب موضوعا جديدا
فقال :

- لقد تعلمت أشياء كثيرة من عملي كطبيب نفسي ، منها أن الإنسان
يعطي في الحياة أكثر مما يأخذ ..

واسترسل الطبيب في بسط نظريته والتدليل عليها بان مستوى المعيشة يتقدم باطراد وأن الجيل المعاصر يعيش عيشة افضل مما كان يعيش اجداده ، مما يدل على أن بعض الناس انفقوا من جهودهم ومن عسارة افكارهم اكثر مما نالوه لقاء ما انفقوا ..

وكان "لوبيـن" يتساعل في قرارة نفسه عن الهدف الذي يرمي إليه الطبيب من وراء هذا الحديث .. فما من ريب انه لم يدع "لوبيـن" و"افالون" للغداء كي يبسط لهما نظرياته الفلسفية ولكن لينتظر قليلا، فسوف يكشف الطبيب عن اغراضه ولا بأس من ان يلمح له بكلمة لدفعه إلى كشف اوراقه ..

فقال :

- ولكن هل سمعت عن الشرق يا صديقي ؟

- لست افهم ما تعنيه تماما

- إن مستوى المعيشة في الشرق لا يزال في حالة تبعث على الاسى..

ولا يزال الملايين من هؤلاء الناس ينفقون جهودا مضنية في سبيل العيش .. فما الذي ينالونه لقاءها ؟

فلوح الطبيب بيده ، وقال :

- ما الذي ينالونه ؟ الحياة يا عزيزي مستر "لوبيـن" .. الهبة

الوحيدة التي يستمتع بها الإنسان في حرية .. فإذا لم يحسنوا الاستمتاع بها فهذا شأنهم...

- اتعني أن إرادة الإنسان فوق كل شيء ، وانني استطيع أن أكون رئيس الجمهورية ، أو حارسا للكلاب ؟

- هذا يرجع إليك وحدك ..

- مهلا يا صديقي .. دعنا نبحث حالة (شانج) مثلا .. فارتفع

حاجبا الطبيب ثانية ، وغمغم :

- (شانج) ؟

- نعم .. فيحكى أن السيد "شانج" هذا راح يدخن غليوننا من الأفيون

ذات مرة على سبيل التفكه والتسلية .. وكان ذلك بمحض إرادته ..

ولكنه اعاد الكرة ثانية وثالثة .. ولم يكن ذلك بمحض إرادته الآن وإنما بإرادة بعض الناس الذين يريدون الكسب من ورائه .. وانتهى امر "شانج" بأن غدا مدمنا ، وهجر أسرته ، وبيته ، وكل شيء .. فاين الإرادة الحرة يا سيدي الطبيب إذن ؟

- لقد كانت إرادته هي التي دفعته إلى التدخين اول مرة ..
- ليس تماما .. فبعض الناس هم الذين يسروا له ذلك وجعلوا المخدر في متناول يده .. ودعنا من "شانج" او الملايين من ابناء بلده ، وتعال بنا إلى مستر (جورج) الذي يقطن في (نيويورك) ...
- إن مجرى افكارك يدهشني كثيرا يا مستر "لوبين" ..
- لا شيء من ذلك يا عزيزي "زلمان" .. فالواقع أن حالة "شانج" في الصين هي نفسها حالة "جورج" او "جاك" في نيويورك . وحتى امريكا الجميلة لا تعمد اناسا لا يبالون بالوسيلة التي يجمعون بها مليونا من الدولارات ماداموا يجمعونه ولا يكثرثون للضرر الذي يصيب الغير من جراء ذلك ، و"جورج" او "جاك" هو الرجل الذي نسعى نحن وراءه ، ولن نعدم أن نجده في اوساط الاشقياء واللصوص والنشالين الذين يحبون أن يبخنوا غليوننا عقب يوم حافل بجلائل الأعمال ..
فمال الطبيب إلى الامام ، وقال في لهفة :
- من هم نحن "يا مستر "لوبين" ؟ ..
- لنفرض أننا نحن الجالسين حول هذه المائدة ، لمجرد فهم المناقشة ..

فقال "أفالون" :

- أما أنا فلا .. فإن لدي من المشاغل الخاصة ما لا يحتمل المزيد .
واستطرد "لوبين" :

- في هذه الحالة تنقسم مهمتك إلى شطرين اولهما نقل المخدر إلى هنا ، والثاني بيعه .. فإذا امكنك حل المشكلة الاولى ، بقيت الأخرى .. ولكن كلاهما ميسور .. فمن الذي يذهب ويعود من الشرق الآن ؟ البحارة بالتأكيد .. وفي وسعهم إحضار البضاعة معهم .. اما العمل

فامره سهل ، إن المدينة ملأى بالأوساط الدنيا التي ترحب بغليون من
الافيون ..

- بالله هذا ما أريد أن أعرفه بالمثل يا "لوبين" ..

فقهقه "لوبين" في جذل ، وقال :

- "زلمان" ؟

- لست أدري إلى أين يقودنا هذا الحديث يا مستر "لوبين"

وران الصمت فوقهم لحظة راحوا خلالها يرشفون كؤوسهم ، ثم
يطلبون غيرها ، حتى قال الطبيب أخيرا :

- أحسب أن من هواياتك يا مستر "لوبين" ، بحث الجرائم الغامضة
التي تذكر الصحف أنباءها .. فمثلا مصرع "البرت فولي" بحي
(بروكلين) يحيرني كثيرا لشدة غموضه ..

فجذب "لوبين" نفسا طويلا من لفافته وراح يفكر في سرعة .. إن
الطبيب يدفعه إلى الموضوع دفعا ، وهي نتيجة لم يكن يتوقعها "لوبين"
.. ولكن إذا كان الأمر كذلك ، فلتكن مشيئته إذن .. فقال :

- نعم .. فحتى في هذه الأيام ذات الرزق الوفير ... ينبغي أن يحزن
الطبيب عندما يفقد أحد مرضاه ..

- إنني لم أكن أفكر في المال الذي أربحه منه ..

وكف الطبيب عن الاسترسال بغثة ، ثم أرفف :

- كيف عرفت أنه كان ضمن مرضاي ؟ ..

- رايت اسمه في مفكرة المواعيد في عيادتك ..

- ولكن قل لي يا مستر "لوبين" .. متى جئت إلى عيادتي ؟

فتظاهر "لوبين" بالدهشة ، وأجاب :

- أه ! .. حسبك تعلم ذلك .. فقد اقتحمتها مساء الخميس الماضي ..

- ٦ -

وجم الدكتور "زلمان" لحظة أن سمع هذا الاعتراف ، وراح ينظر إلى

"لوبين" في برود قبل أن يقول :

- هل من عادتك اقتحام بيوت الناس ؟

- لست أسميه كذلك عادة يا صديقي ، فإن هذه الكلمة تعني الحمق والغباء...

والواقع أنه ليست لي عادات معينة قط ، إلا إذا كنت تدعو التنفس عادة .. فهو عادة تتعلق بها تعلقا شديدا وليس في نيتي التخلي عنها .. وقد صادفت الكثيرين ممن أرادوا أن يحملوني على تركها ، ولكنهم الآن في عداد الراحلين الأعزاء ، نزلء الجحيم ،
فهز الطبيب رأسه ، وقال :

- ولكنك تعلم أنك ارتكبت جريمة شنيعة ، بالسطو على عيادتي ..
- إنني اعترف بأنها تعد جريمة من الوجهة القانونية .. ولكني حسبك تفهم ظروفي ، فإنني لم أفعل غير تطبيق نظريتك ، إذ اطعت حافزا خطر لي ..
- ولكنني باعتباري ضحية هذه الجريمة من حقي أن اطلب منك
إيضاحاً..

- ألم أقل لك إنني كنت أطبق نظريتك ؟ ولكن هل مستر "فرديناند بيرفيلد" هو الذي رسم تلك اللوحات ؟

فظل الدكتور "زلمان" على جموده ، وقال :
- دعك من هذه الفلسفة فهي شيء آخر .. وحتى يعتنق العالم هذه النظريات فإن القانون هو القول الفصل .. وطبقا للقانون يا عزيزي "لوين" ، تكون قد ارتكبت جريمة يعاقب عليها ..

- ألا ترى أنك تغالي في تصوير الأمر يا "ارنست" ؟
- إنني أريد أن أتأكد من أنك تفهم موقفك على حقيقته .
- حسنا .. لقد ارتكبت جريمة إذن .. وقد سطوت على عيادتك ، كما سطوت على مسكن المرحوم "البرت فولي" أيضا ، وقد حيرني مصرعه كما حيرك يا عزيزي "ارنست" .. فماذا تريد ؟

وعندئذ حول الطبيب رأسه ونظر إلى ناحية معينة من القاعة ثم أشار بإصبعه.

وتبع "لوين" إشارته هذه فرأى رجلين يجلسان إلى مائدة بعيدة ،

يهمان بالنهوض ، وقد راح أحدهما يدفع شيئاً صغيراً أسود اللون تحت المائدة .. وما لبثا أن راحا يشقان طريقهما بين الموائد متجهين نحوهم ، ولم يكن في مظهرهما ومشيتهما أي ريب في أنهما من رجال البوليس السري ..

فلما بلغا المائدة ، قال لهما "زلمان" :

- هل سمعتما كل شيء ؟

فأوما أقصر الرجلين برأسه ..

وانحنى "لوبين" ونظر تحت المائدة فوجد ميكروفونا صغيراً مثبتاً بأسفلها ، يمتد منه سلك رفيع ملتصق بأحد قوائم المائدة حتى يختفي تحت البساط ، فلما رفع رأسه بعد ذلك ، كانت تبدو في وجهه علائم الإعجاب ، وقال :

- هذه يا عزيزي الدكتور مسالة طريفة ... فقد كنت أحسب أننا نتحدث حديثاً خاصاً ولم يخطر لي أن للبوليس دخلاً فيه ..

فلم يعبا به الدكتور "زلمان" وقال للشرطيين :

- هذا الرجل هو "أرسين لوبين" ، المجرم المعروف الذي تطلبه حكومات دول كثيرة في العالم بتهمة عديدة من السطو والسلب والابتزاز وغير ذلك ..

- إنها مجرد شبهات يا عزيزي ، وليست تهمة ثابتة ..

فتحول أحد الشرطيين إلى "لوبين" ، ووضع يده على نراعه قائلاً :

- يحسن أن تأتي معنا ...

فقال "لوبين" في هدوء ، بلهجة امرأة :

- مهلاً لحظة ..

ثم نظر إلى "زلمان" ، وقال :

- لقد استقيت معلوماتك من مصدر ما ، ولم تستنتجها من تلقاء

نفسك ، حتى تنصب لي هذا الشرك .. فهل "أفالون" هي التي أرشدتك ؟

فصاحت الفتاة :

- أواه يا "لوبين" ؟ كلا يا عزيزي .. كلا ..

وكان صوتها متهدجا ، تبدو فيه اللفظة والاستنكار .. ولم يعرف
"لوبين" إن كان ذلك حقيقة أم تمثيلا ! ولم يحاول النظر إليها ، إذ كان
يحدج الطبيب بانظار متفرسة ..
فقال هذا :

- يكفي أن يفهم المرء عقلية معينة ، حتى يدرك أفعال صاحبها
جميعا ... فقد زرت مسز "جيرالد ملدون" و"جيمس براتر" ... وكان
هذان صاحبي اثنين من الأسماء الثلاثة المدونة ... بمفكرة المواعيد ..
فيتبع ذلك أنك زرت "البرت فولى" أيضا .. وكان من الواضح أنك أنت
الذي أبلغت النبا إلى البوليس تليفونيا ، إذ كانت كلماتك مما يتفق
واسلوبك تماما .. ولقد علمت أن شخصا ما كان موجودا في عيادتي
في الوقت الذي يجب ألا يكون بها أحد قط ، فارتبت في أنك ذلك
الشخص الذي لبي نداء التليفون .. ولكن كان ينقصني أن أسمع
اعترافك بما يؤيد استنتاجاتي هذه ..

فارتسمت على فم "لوبين" ابتسامة عريضة ، وقال في جنل :
- لقد فهمت .. وإنني يا عزيزي "ارنست" قد ازددت إعجابا ببراعتك ،
وتضاعف تقديري لمواهبك .. وسوف انهج في الحياة نهجا آخر في
المستقبل .

- هذا إذا اتسعت لك يا "لوبين" .. فقد كان "فولى" قتيلا عندما تركت
مسكنه ، والبوليس دائب البحث عن قاتله .. ولا ريب أنك تعلم أن
القتلة في هذه البلاد ينتهون فوق كرسي مريح ..

- ليس في هذه المرة أيها الساحر الكهل ..

ثم التفت إلى الشرطيين ، وقال :

- هل نبدأ رحلتنا إلى "سنغ سنغ" ؟

فعبس أطولهما قامة ، وقال في خشونة :

- هيا .. هيا

فلما استوى "لوبين" على قدميه ، نهضت "افالون" واقفة بجواره ،
فراح يتفرس في عينيها بنظرات عميقة ساخرة دون أن تطرف الفتاة
أو تتزعزع ... وأخيرا غمغت .

- إنني لم افعل يا "لوبين" .. لم افعل ..
فقبلها "لوبين" قبلة خفيفة ، وقال :
- كوني بنتا طيبة .. ولا تنسي أن تاكلي نصيبي ...
- ولكنك لن تذهب هكذا كالحمل .. الا تحاول أن تفعل شيئا للدفاع
عن نفسك؟

فاتسعت ابتسامة "لوبين" ، وقال :
- هذه مشيئة الله يا بنيتي ! .. شكرا على الشراب يا دكتور !
ومضى مرفوع الرأس منتصب القامة بين الشرطيين ، دون أن يثير
مرورهم بين الموائد إلا القليل من انتباه الحاضرين ..
ولم يفته أن يفكر في وسيلة بارعة للفرار من الشرطيين عندما
يخرجون إلى الطريق .. ولكنه من جهة أخرى لم يردوى في أن يغدو
هاربا من وجه العدالة تطارده قوات البوليس وتعوقه عن إتمام
مهمته .. ومن يدري ؟ فلعل "لوبين" كان يخفي وراءه سيلا متدفقا من
الأفكار والخواطر .

ولكن قناع الهدوء وقلة الاكتراث التي كانت تكسو وجه الدكتور
"زلمان" قد أمعن في تطبيق نظرياته النفسية واستنتاجاته فحس
مقدما أن "لوبين" سوف يحاول الفرار ، فاعد لذلك مشهدا مسرحيا
جديدا ؟ .. او لعله الآن يجلس في المطعم هادئا وقد أصاخ بسمعه
مترقبا دوي طلقات الرصاص التي تريحه من تدخل "لوبين" إلى الأبد ..
وكذلك لفظ "لوبين" فكرة محاولة الفرار .. وقنع بالانتظار والامل في
أن تكون (الزنانة) التي سيودعونه بها في السجن ذات نافذة على
الفضاء ! ..

ودعا الشرطي الطويل عربية ، وألقى أوامره على سائقها بصوت
خافت ، ثم جلس فيها "لوبين" بين الرجلين .. وبعد برهة قال "لوبين"
للشرطي الذي إلى يساره :

- ما قولك في كاس من الشراب ؟
ولكنه صاح به :

- اصمت ! ..

ومضت دقائق ، وإذا بالشرطي الطويل ينظر إلى ساعته فقال
"لوبين" :

- على فكرة .. ما هي الساعات المحددة للزيارة في سجنكم ؟
فصاح به زميله :

- اصمت ! ..

وطال سير العربية .. واجتازت (سنترال بارك) ثم عرجت على
البحيرة ، وأخيرا مضت تسير بجوار حديقة الحيوانات فنظر "لوبين"
نظرة ذات مغزى إلى الأقفاص ، ثم قال :

- ما هو الموعد المحدد لعودتكما ؟

وعندئذ صاح به الرجلان معا :

- اخرس ! ..

فاشعل لافاة ، وراح ينفث بخانها في تفكير عميق ، وهو يعجب إلى
أين يمضي الشرطيان به ! وزاد من قلقه أن كان أطولهما لايفتا يتطلع
إلى ساعته بين لحظة وأخرى .. وخشي أن يكون في نية الرجلين أن
ياخذه إلى أحد السجون البعيدة المنعزلة حيث لا يستطيع الاتصال
بأحد ..

ونظر الشرطي مرة أخيرة إلى ساعته ، ثم صاح بالحوذي :

- كفى ! ..

فاوما الحوذي برأسه ، وعاد بالعربية خببا و"لوبين" يزداد عجبه بين
لحظة وأخرى ، حتى بلغ ذروته عندما وقفت العربية أمام فئدقه ! ..

وعندئذ خرج الشرطيان عن عبوسهما وقال القصير :

- حسنا .. هيا اصعد إلى حجرتك ..

فقال "لوبين" ذاهلا :

- وبعد ؟ ثم ماذا ؟

- سوف ترى !

فاوما برأسه في جذل ، ثم أسرع إلى حجرته ، فالفى جرس التليفون

يرن رنيناً متواصلاً ..

وإذا بصديقه "هاملتون" يقول له :

- يحسن بك أن تكون أكثر حذراً .. وإلا فهل تظن أنني لا عمل لي أو لرجالي إلا إنقاذك من المازق التي تزج بنفسك فيها ؟
خيم الصمت فترة طويلة ، عقب انصراف "لوبين" مقبوضاً عليه ،
على "أفالون دكستر" والدكتور "زلمان" .. فكانت الأولى مستغرقة في التفكير جامدة الأسارير لا يبين محياها الساكن عما يعتمل في نفسها من اضطراب .. على حين كان الطبيب يداعب بأصابعه الدقيقة كأس الشراب وينقر على علبة سجائره الذهبية وهو يجيل في القاعة نظرات متراخية على غير هدى وبدون قصد معين .. وأخيراً قال :

- إنني أسف ..

وشفع ذلك بابتسامة ملؤها العطف والشفقة ، فهزت الفتاة كتفيها قائلة :

- ولماذا تأسف ؟

- إنني لم أكن أود يا مس "دكستر" أن أسبب لك حزناً أو أجح فؤادك ..

- ولكنني لا أعنى بغير نفسي يا دكتور ..

- هذه يا عزيزتي أعظم ميزة فيك ... فإن المرء لا يتوقع من فتاة مفرطة الجمال مثلك أن تكون متعلقة بالحب وهذه الأوهام الأخرى ..
إذا جاز لي أن أقول ذلك .

- لك ذلك يا دكتور .. ومهما يكن من أمر ما تقول فإنه يفتح لي باب الخروج .. وداعاً ..

فرقع يده الناصعة البياض ، وقال :

- لا تذهبي .. فإنك لم تتناولتي طعامك بعد ! ..
- لست جائعة ..

- إذن أصغي إلي قليلاً .. فلدي معلومات قد يكون من صالحك أن تعرفها ..

واستطرد الطبيب :

- إنها بشأن مستر "لوبيين" ... وعلى الرغم من أنه يسرني أن اصارك بانني اهتم اهتماما شخسيا بسعادتك ورفاهيتك ، فإن ما اود قوله لك لا يغدو نصيحة فنية ابيديها لك بحكم مهنتي كطبيب نفسي ..

فابتسمت "افالون" في تكلف بينما استطرد الطبيب :

- ما من أحد لا يعترف بأنه شخص يبدو من أبطال الاساطير والأحلام ، وله جاذبية مغناطيسية تجذب إليه النساء الخياليات ، حيث يتمثل لهن فيه ما ينشدنه من سحر وشهرة ومال ومغامرات ولكن ما أريد أن أقوله يا مس "دكستر" هو أن مثل هذا الشخص دائم القلب ، كثير الأهواء والنزوات ...

فاتسعت ابتسامة "افالون" ، بينما تابع الطبيب حديثه :

- كما أن مسلكه في الحياة دائب التعثر في المغامرات والجرائم والأخطار .. وقد علمت أن كل من ارتبط معه برباط وثيق ، نكرا أو انثى، قد لقي حتفه بطريقة ما ... وإذا كان قد نجا من الموت حتى الآن ، فلا مناص من أن يأتي يوم يا عزيزتي مس "دكستر" تتخلى عنه آلهة الحظ ، فيرد الهلاك ...

فنهضت "افالون" بغتة وهي تقول في حلق :

- وهكذا إلى آخره .. الا تدعنا من هذه الفلسفة يا دكتور فقد رايته بنفسك يتهمني بانني وشيت به إليك واطلعتك على تحركاته وافعاله .. ومن ثم فلست أرى خطرا يتهددني من أعدائه كما تلمح لي .. وداعا . ومضت في خطى حثيثة إلى (جراج) المطعم ، والغضب يعصف بنفسها، فاستقلت سيارة إلى مركز الشرطة لتسال عن "لوبيين" ...

وفيما كانت ترقى الدرج العريض بإدارة البوليس ، إذا بـ "كاي ناتيللو" و"فريديناند بيرفيلد" يلحقان بها فيقول الأخير بصوته الشبيه برنين الاجراس :

- اهلا بك يا عزيزتي ..

بينما لم تقل المرأة شيئا ..

وعاد "بيرفيلد" يقول :

- لقد كنا نسير في الطريق فلمحناك تصعدين الدرج . ولما كنا نريد ان نراك وكنا دائبي البحث عنك ، فقد وجدنا الفرصة سانحة...

فقاطعته "أفالون" :

- تبحثان عني ؟

وكانت "كاي ناتيلو" هي التي اجابت بصوتها الشبيه بحشرة المنشار :

- نعم يا "أفالون" .. هيا هيا يا ابنتي !

فقال "فريديناند بيرفيلد" :

- إن لدينا خبرا لك يا عزيزتي ، هو ان (ماجنا مونت) سيقوم الليلة بتصوير مشهد في مقصف (كوكي) وسوف نكون جميعا هناك ، كما انك ستلقين بعض اغانيك .. فهيا بنا لأن (كوكي) تريد ان تستوثق من انك ستشتركين في البرنامج قبل التعاقد مع مستر "بفيفر" ؟

- وهل مستر "بفيفر" ... ؟

- "بفيفر" المخرج الكبير يا عزيزتي ... سوف يخرج لكما فيلما رائعا..

فترددت "أفالون" برهة وهي لا تستقر على رأي معين ، او تجد ما تقوله ... ولكنها قالت اخيرا :

- حسنا .. سوف الحق بكما بعد قليل . هل اجدكما عند "كوكي" ؟ ..

- ولكنك ستذهبين معنا ... ولا شك انه ليس لديك ما يهتم في مثل

هذا المكان او نزلائه من المجرمين .. ماذا جئت تفعلن هنا ؟

- لقد فقت مشبكا ذهبيا وقرطا في إحدى سيارات الأجرة ، فظننت انه يمكنني السؤال عنهما هنا .. ولو انه يخيل إلي انني لن اجدهما..

- ربما ... وعلى أية حال فإنني قادم معك لمعاونتك في التحدث إلى

هؤلاء المتوحشين ذوي الثياب الزرقاء .. وبعدئذ نذهب معا !

وعندما فتح مستر "جيمس براتر" باب مسكنه للسيدتين اللذين طرقاته ، لم يكن يحسب أنه سيكون لزيارتهما ذلك الأثر الخطير في نفسه وفي كيانه مثل ما وقع له بعد ذلك ... فعندما سالهما عما يريدانه ، أخبراه أنهما من مندوبي مصلحة الضرائب ، أشار بيد مرتعشة إلى الأريكة وأخذت عيناه البارزتان تدوران في محجريهما وهو يقول :

- تفضلا بالجلوس .. هل من خدمة أستطيع أداؤها لكما ! .. هناك خطأ في ضريبة الدخل ؟

ولكن أحد الرجلين ظل ينظر إلى الأرض دون أن يقول شيئا ، على حين أراح الثاني قبعته إلى الخلف وراح يحرق إلى السقف كان به شيئا يثير عجبه ..

ولم يجلس "براتر" ، إنما ظل يفرك يديه في اضطراب وهو يقلب نظراته بين الرجلين ، في حيرة بالغة .

وأخيرا قال أحدهما في تراخ :

- هل تعرف رجلا يدعى "سام جفرين" ؟

فقطب "براتر" حاجبيه ، وأجاب :

- "جفرين" ؟ .. كلا لا احسبني اعرفه ..

- ولكنه قال إنه جاء إلى هنا لمقابلتك . وكان دقيقا في وصف المكان ..

فازداد تقطيب "براتر" ، وسارع قائلا :

- اوه ! .. نعم .. اظنني عرفت من تعنيه .. أجل لقد كان هنا حقا ..
ما شأنه؟ ..

فرفع الرجل الآخر رأسه ، وقال :

- كيف حال "شنغهاي" الآن ؟

فاهتزت أهداب "براتر" سريعا ، على حين استطرد الأول :

- وعلى الأخص رقم ٩٠٣ بشارع "بابلنج رود" ؟ ..

وازداد اهتزاز أهداب "براتر" سرعة ، ولكنه قال :

- لست اعرف عن اي شيء نتحدثان ..
- فلم يزد الرجلان عن التنهيد متعجبين بينما اردف "برائر" :
- كما انني لا اعرف سبب اهتمام مصلحة الضرائب بي !
- فمال اكبر الرجلين إلى الامام قائلا :
- اعتقد أن "سام جفريز" قد احضر لك لفافة ما .. او بضع لفافات؟..
- نعم .. لقد احضر لي من "شنغهاي" تمثالا من الخزف يمثل راهبا
- شيخا يحمل سلة ملأى بالسّمك .. وهو تحفة فنية حقا ...
- أين هو ؟
- اوه ! ... لقد اعطيته إلى .. إلى صديقة لي ..
- فزام الرجلان معا ، ثم مضى اكبرهما قائلا :
- واين قابلت "جفريز" هذا ؟
- اه ! .. لست اذكر تماما ..
- فحدجه الرجل بنظرة صارمة ثم قال :
- لقد قابلت "سام جفريز" للمرة الاولى ، وفقا للمعلومات التي لدينا
- في مكان يدعى (مقصف كوكي للبحارة) في ١٨ اغسطس ، وفي تلك
- المقابلة عقدت معه اتفاقاً معيناً قبل أن يرحل الفتى بباخرته .. وفي ٣
- نوفمبر قابلت "سام جفريز" هنا ، واحضر معه "جوهيمان" .. فلماذا ؟
- واي اتفاق عقده مع كليهما ؟ ..
- لو انكما ايها السيدان .. تسمحان بإفهامي ما تسعيان وراءه لكان
- من المستطاع أن اساعدكما .. ولكنكما حتى الآن تتكلمان على غير هدى
- وفي غير معنى ..
- فقال اصغر الرجلين :
- ينبغي أن تجيب على أسئلتنا يا مستر "برائر" وإلا ففي وسعنا أن
- نأخذك معنا إلى المدينة ، ونثير امامك الكثير من المتاعب ..
- ولماذا ؟ إنني لا أفهم سر هذه المهزلة بعد ، كما انكما لم توجهها لي
- اتهاما معيناً ..
- ما الذي تعرفه عن رقم ٩٠٣ شارع "بابلنج رود" بشنغهاي .. وما

الذي قلته لـ "سام جفريز" ؟ .. ومن هو الشخص الذي تاتمر بامرہ ؟
.. وكيف تحسب أنك سوف تنجو من هذه الورطة ؟ .. هذه يا صديقي
بضعة اسئلة معينة إذا شئت .

- ولكن .. ولكن .

- فہمت لعل الأفضل إذن ان تاتي معنا يا مستر "برائر"
فراح "برائر" يجيل نظراته بين الرجلين ، ثم امعن في التفكير ..
وكانما استمد الجراة من فكرة معينة طرات له ، إذ ما لبث أن قال في
حزم :

- إني لا أعرف ما تسعيان وراءہ .. ولكن أعرف أنني مواطن لي من
الحقوق الدستورية ما يكفل لي أن أرفض ما تطلبانه ما لم توجهها لي
اتهاما معيناً بطريقة رسمية .. ولن أضيف شيئاً إلى ذلك .. فمع
السلامة ..

فنهض الرجلان متمهلين ، وراحا يحدجانه بنظريهما لحظة طويلة ،
قبل أن يقول أكبرهما :

- حسناً .. على رسلك إذن ..

وما كادا ينصرفان حتى أسرع "برائر" بدوره ، فاخطف قبعتہ
وهرع إلى الطريق حيث استقل سيارة مضى بها إلى عيادة الدكتور
"زلمان" في برك أفنيو ..

ولم يسر "زلمان" لرؤيته ، وراح يصغي إلى قصته مقطب الاسارير ،
وأخيراً قال :

- وهكذا قدتهما نحوي رأساً يا سيد "برائر" ! .. لقد كانت هذه
خطوة غير موفقة منك ..

- إنني لم أقدهما إليك .. فلم يتبعني أحد ..

- هل لي أن أسالك كيف عرفت ذلك ؟ .. إنك في حالة من الاضطراب
بحيث إذا تبعك فيل لما فطنت إليه ..

وتناول "زلمان" التليفون ، وأدار قرصه على رقم معين ، ثم ما لبث
أن قال :

- هات اثنين من رجالك وتعال في الحال ..

فهمهم "برائر" :

- ما الذي تريد ان تفعله ؟

ولكنه لم يتلق من الطبيب ردا .. فكرر السؤال مثنى وثلاث في فزع ظاهر ، دون ان ينال جوابا ..

واخيرا قال الطبيب في صوت بطيء صارم النبرات :

- إن أحد الشروط الرئيسية لمؤسستنا هذه ، هي ان يعنى كل فرد فيها بنفسه كما تعلم .. ولكنك بحمقك قد وضعت نفسك في مركز شديد الخطر ولذلك غدا من مصلحة المؤسسة ان تحميك ..

- هل تعني انك لن ..

- اقضي عليك ؟ .. معذرة يا عزيزي "برائر" .. لقد كنت اقول لك ان من الشروط الاساسية لجماعتنا ان نعنى بانفسنا .. كلا .. كلا .. ولكن هلا حدثتني خلال انتظارنا هذا ، عما قلته لرجلي الحكومة بالضبط؟ ..
- لم اقل لهما شيئا ، إنما كان يبدو انهما يعرفان اكثر مما يتوقع ان يعرفاه .. ولما رايت ان اسئلتهما قد بلغت حدا خطيرا ، فعلت ما يجب فعله وطردهما ..

- ما الذي كان يبدو انهما يعرفانه ؟ ..

- لقد ذكرنا "جفريز و"هيمن" ، وكانا يعلمان ان الفتيتين احضرا لي شيئا من شنغهاي ، وسالاني عما اعرفه عن رقم ٩٠٣ شارع ، "بابلنج رود" ..

- وقد انكرت ذلك بالتأكيد ..

- بالتأكيد .. ولكن كيف عرفا كل ذلك ؟ ..

- من يدري ؟ .. إن البحارة إذا امتلأت جيوبهم بالمال يشربون حتى الغياب عن الوعي ، ويثرثرون كثيرا .. ومن سوء الحظ ان "جفريز" و"هيمن" ما كانا يستطيعان الثرثرة إلا عنك وحدك .. ولكنك لن تفشي السر قط ..

فازدرد "برائر" لعابه وغمغم :

- بلا ريب .. وإنني أعرف ما سألقيه من متاعب ، ولكن إذا لم تتخل عني ...

وساد الصمت برهة .. وكان يبدو أن الدكتور "زلمان" قد قال كل ما يريد قوله، وأن "جيمس براتر" كان يخشى أن يقول شيئاً آخر .. وأخيراً جاءت السكرتيرة الشقراء لتقول إن مستر "كاربنتر" واثنين من أصدقائه يريدون مقابلة الطبيب ، فأمرها بإدخالهم على الفور ..
وقدم الطبيب القادمين إلى "براتر" ، ثم قال - "كاربنتر" :

- إن مستر "براتر" لسوء الحظ قد استرعى أنظار بعض الفضوليين، بحيث غدا لزماً علينا أن نضعه في مأمن من الخطر الذي يهدده من رجال الأمن .. وانت تعرف ما ينبغي صنعه ..
فنهض "براتر" قائلاً :

- لست أدري كيف أشكر لك هذه العناية يا دكتور "زلمان" ..

فلوح الطبيب بيده في تواضع وهو يقول :

- هراء .. إنني أؤدي ما يجب لك من حق علينا ..

وكان "براتر" يثني أصابعه في توتر بينما كانت السيارة السوداء الطويلة تدرج بهم في شوارع نيويورك أكثر من الساعة حتى خلفت المدينة وراءها وراحت تسير في الطرق الزراعية .. وكان يجلس في المقعد الخلفي بين زميلي مستر "كاربنتر" بينما كان هذا يقود السيارة في براعة إلى الهدف المجهول الذي يقصدونه ..

فلما مشت بهم السيارة ساعة أخرى ، انحرف بها "كاربنتر" إلى ممر جانبي ضيق قطع فيه زهاء ثمانمائة متر ، ثم أوقف السيارة ونزل منها وهو يقول :

- هيا بنا ..

فتبعه "براتر" في قلق خفي ، وسار معه بجانب سياج من الأسلاك الشائكة إلى بقعة أينعت بالخضرة الفيحاء ، وازدهرت بأشجار التفاح .. ولكنه لم ير أثراً لبيت أو مزرعة . فوقف مكانه وقال في صوت متهدج :

- إلى أين تأخذني ؟ ..

فتحول "كاربنتر" ليواجهه ، وهو يقول :

- سوف تبقى هنا ..

وفي مثل وميض البرق ، استل مسدسا من جيبه ، وسدده إلى قلب "براثر" .. ولعل الطلقة الأولى كانت كافية ، لولا أن السيد "كاربنتر" ، وهو رجل ذو ضمير ، اتبعها بأخرى حتى يستوثق من موت ضحيته سريعا ..

- ٨ -

تسلل "لوبين" من السلم الخلفي للفندق متسربلا بالظلام والخفاء ، ومرتديا ثيابا بالية لبحار قديم العهد بالبحار ، وقد قوس كتفيه قليلا حتى يبدو متوسط القامة وليس فارغ العود كعهده .. وكان تنكره بارعا فالشمس تلوح بشرفته ، وتضفي لونا أحمر على شعره وشاربه والشعيرات النامية من لحيته ، بحيث لم يكن في وسع أحد حتى أخص معارفه أن يتبين فيه "أرسين لوبين" الذي يعرفه ويألفه .. وخرج من الفندق دون أن يراه أحد .. فمضى رأسا إلى مقصف البحارة الذي تديره "كوكي" ، حيث راحت حارسة الباب البدينة ذات الشعر المصبوغ تفحص أوراق شخصيته في إمعان شديد ، قبل أن تمنحه ابتسامة عريضة بدت خلالها أسنانها الذهبية ، وهي تقول :

- يسرنا أن نراك معنا يا مستر "سيمونز" .. فتفضل بالدخول واعتبر نفسك في منزلك ..

وتفضل "أرسين لوبين" بالدخول .. فوجد نفسه في قاعة رحبة ملاءى بالموائد الخشبية والمقاعد التي أبلاها طول الاستعمال ، وفي ركن منها معزف قديم ، وقد زينت جدرانها بنقوش ورسوم يدوية لنساء عاريات ، وبقرب المدخل منضدة طويلة عليها بعض الصحف والمجلات الشعبية .. وكان في نهاية المقاعد مقصف طويل وقف خلفه رجلان في ثياب خفيفة ، يوزعان الشطائر والحلوى وزجاجات من شراب مرطب خال من الكحول ..

وكانت القاعة مكتظة برجال من أعمار مختلفة ، يرتدي أكثرهم ثياباً مدنية بينما الباقون في زي البحارة المعروف ، وقد انهمك بعضهم في لعب الورق أو النرد ، على حين كان البعض يرقصون مع فتيات خصصتهن "كوكي" للترفيه عن ضيوفها . وهن فتيات جميلات في مقتبل العمر ، يرتدين مرايل بيضاء رصعت بنجوم زرقاء وبينها - في وشي جميل - كلمتا "مقصف كوكي" .. وفي الوقت نفسه كان لفيف من الخدم الرجال يروحون ويغدون بين الموائد لجمع الزجاجات الفارغة والصحاف المستعملة ..

فلما دخل "لوبين" ، سار نحو المقصف وتناول زجاجته وصحفه وشطائرهِ ، وتحول نحو القاعة مخترقاً الزحام وسط سحابة كثيفة من دخان السجائر تعلقت تحت السقف المنخفض ، وهو يفكر في خطوته التالية وما ينبغي أن تكون ..

ووقفت أمامه إحدى الفتيات المضيفات قائلة في مرح :

- هالو ! . هل أخذت كل ما تريده ؟ ..

- نعم .. شكراً أيتها الأنسة ..

- أه ! .. لا ريب أنك إنجليزي ؟ ..

- تماماً أيتها الأنسة ! .. من " أولاد جيت " .. ولكن كيف حدثت ؟ ..

- لقد اعتنت التمييز بين اللهجات المختلفة .. أهذه أول زيارة لك ؟ ..

- نعم أيتها الأنسة ..

- ومتى جئت إلى نيويورك ؟ ..

- في الليلة الماضية فقط .

- حسناً .. إنك لم تضع وقتاً طويلاً قبل الاهتمام إلينا .. الك

اصدقاء هنا ؟ ..

- كلا أيتها الأنسة ! .

وكان "لوبين" ينطق بهذه الكلمات عندما وقع نظره على وجه يعرفه ، كان صاحبه يجلس بمفرده ، بعد أن انصرف زميلان له للتو .. وكان الرجل يدفع مقعده ويتلفت حواليه عندما راه "لوبين" ، فقال للفتاة

مستدركا :

- يا إلهي ! .. هذا صديق أعرفه .. معذرة أيتها الأنسة واندفع وسط الزحام ، حتى بلغ مائدة ذلك الرجل فوضع زجاجته فوقها وهو يقول :
- مرحى أيها الزميل ! .. إنني واثق أنني أعرفك .. اليس اسمك "باتريك هوجان" ؟ ..

فنظر إليه الآخر بوجه ممتلئ لا يزال "لوبين" يذكر حمرة الخجل التي كانت تعلوه عندما قدمته "كوكي" إلى جمهورها في الليلة الأولى لزيارة "لوبين" للملهى.. وقال :

- بلى يقينا يا أخي ! .. "هوجان" هو اسمي .. فما اسمك انت ؟ ..
- "توم سيمونز" .

- لست اذكره .. ولكن لا تبال بذلك .. أين التقينا من قبل ؟ ..
- ربما كان ذلك في "مورمانسك" ، في اثناء الحرب ؟ ..

- لا ريب في ذلك . فقد قضيت بها أسبوعين في رحلتين متواليتين .. وكان صوت "هوجان" مرتجفا ، ورائحة الشراب تفوح من فمه مما ينم عن أنه شرب كثيرا قبل أن يحضر إلى المقصف .. ونظر "لوبين" خواليه وهو يقول :

- يا له من مكان ظريف !

- ليس ثمة أفضل منه في (نيويورك) كلها يا "توم" .. كما ان "كوكي" نفسها .. يالله ! إنها ملكة ! . وهي تغني تلك الأغاني الجميلة التي تجعل أباك نفسه يحمر وجهه خجلا ! ..

- يا إلهي ! أهى كذلك ؟ ..

- يقينا إنها كذلك .. ألم تسمعها من قبل ؟ ..

- نعم لم أسمعها .. هل ستحضر الليلة ؟ ..

- بلا ريب .. سوف تحضر من دقيقة لأخرى ، ولهذا جئت إلى هنا ..

ولولا ذلك لفضلت كاسا من الشراب وفتاة اقضي السهرة معها ..

ثم مال قليلا نحو "لوبين" ، وقال وهو يغمز بعينه :

- ولكن "كوكي" تستطيع ان تدبر لك ذلك أيضا إذا كنت صديقا لها ! ..

فلحق "لوبين" شفتيه ، وهتف في لهفة :

- يا لله ! .. وهل انت صديق لها ؟ ..

- يقينا ، إنني صديقها ! .. لماذا ؟ .. لقد أخذتني ليلة السبت الماضي مع صديق لي إلى ذلك النادي العظيم الذي تملكه ، وقدمت إلينا أوفر قسط من الشراب يمكننا احتماله ، فقضينا وقتا ممتعا كاننا لوردان عظيمان حتى مطلع الفجر وقد قالت إننا نستطيع ان نعيد الكرة كلما أردنا ذلك .. وما دمت صديقي يا "توم" ، فسوف تعاملك بالمثل ..

- يا إله السموات ! .. هل انت واثق من ذلك ؟ ..

- يقينا يا صديقي ! .. ولو اني أعجب كيف يتلف كهل مثلك على هذه الأمور!

- إنني لست من الكهولة بحيث أزهد فيها ..

وفي تلك اللحظة انحنى شبح فوق المائدة وراح يمسحها بمنشفة ملونة وكانت اليد التي امتدت بها شاحبة اللون طويلة الاصابع ، لاحظ "لوبين" ان اضفارها قد صقلت بطلاء بنفسجي اللون .. فلم يجرؤ على الاعتقاد بان شيئا كهذا يمكن ان يكون حقيقيا ، وراح يرفع عينيه في حذر حتى استقرتا على ذلك الوجه النحيل والشعر الذهبي ..

نعم ، لقد كان ذلك "فريديناند بيرفيلد" حقا ..

ونظر مستر "بيرفيلد" إلى "لوبين" في إمعان ، ولكن لم تبد عليه لمحة تنم عن انه عرف حقيقته .. وما لبث ان حول نظراته إلى "هوجان" ثم قال :

- ائمة ما تشكوان منه يا صديقي ؟ ..

فشكره "هوجان" ، وعندئذ حياهما "بيرفيلد" بابتسامة وانصرف ..

وما كادت تمضي لحظة حتى تبدلت اسارير "هوجان" ، وصاح في ابتهاج :

- ها هي ذي يا "توم" ! .. ها هي ذي كوكي" ! ..

وكانت الأنوار قد بدأت تخفت في القاعة عندما قال ذلك ، فبدت كوكي" للعيان وهي تتقدم نحو الضوء الوحيد الذي ظل ساطعا على

منصة صغيرة بجوار المعزف .

وكانت على محياها تلك الابتسامة التقليدية التي تقابل بها زبائنها.. وانثنت تحيي الحاضرين وترد على هتافهم بتحريك يدها وخصرها، ثم بدأت ترتل أغانيها المعهودة ، واحدة بعد الأخرى ، وهي أغان وقحة مبتذلة يندى لها الجبين خجلا ، والحضور لا يكفون عن الصياح والهتاف في حماسة منقطعة النظير ، حتى بح صوتها وتورد وجهها من فرط المجهود الذي تبذله ، وتصعب العرق منه غزيرا .. وفي خلال ذلك كان "لوبين" لا يكف عن الهتاف والاستحسان والتصفيق حتى يجيد الدور الذي يؤديه أمام "هوجان" ..

وأخيرا كفت "كوكي" عن الغناء ، وهي تلهث من فرط التعب والجهد الذي بذلته ، واتجهت إلى الحاضرين قائلة :

- هذا كل شيء الليلة يا أبنائي .. فإلى اللقاء غدا ..

وهبطت من فوق المنصة فاستقبلتها الأيدي بالمصافحة والتلويح في حماسة بالغة .. ونهض "باتريك هوجان" وهو يدفع المائدة أمامه ويصبح بصوت مدو :

- هالو .. "كوكي" ! ..

كانت سترته قد ارتفعت قليلا عند وقوفه ، فرأى "لوبين" في جيب سرواله الخلفي مسدسا أليا ، من طراز لا يحمله البحارة قط ..

واشعل "لوبين" لغازة ، وهو يفكر في هذا الاكتشاف الجديد ، ويحاول أن يفهم حقيقة "باتريك هوجان" وموقفه في هذه المغامرة كلها ..

* * *

جلست "كوكي" معهما فقدم "هوجان" إليها "لوبين" قائلا :

- ها هو ذا صديقي "توم سيمونز" ، وهو بحار كهل وزميل قديم ، شربنا معا في (مورمانسك) .

فحيته "كوكي" ، وسالها عن حالها فاجابت :

- إنني متعبة جدا .. ولا تزال أمامي بعد ذلك حفلتان في الملهى الخاص بي ..

- لقد استمتعت كثيرا بغنائك يا سيدتي ..

- اهذه اول مرة تسمعي فيها ؟ ..

- نعم يا سيدتي ..

- نادني "كوكي" فقط .. فالكل يفعلون ذلك ..

- نعم يا سيدتي ! ..

فقهقه "هوجان" في مرح ، وقال :

- اراهنك انها لن تكون الاخيرة ..

وعادت "كوكي" تسال "لوبيين" :

- وهل ستبقى طويلا في نيويورك ؟ ..

- كلا سنبحر يوم الثلاثاء عند العشاء .. وهي اوامر الربان . مع

اننا لم نلق المرساة إلا امس فقط .. اليس ذلك امرا سخيفا ؟ ..

- إنه كذلك حتما .. وإلى اية جهة تقصد باخرك بعد ذلك ؟ ..

- سنجتاز قناة (بنما) إلى (شنغهاي) راسا ، ثم نعود إلى "سان

فرانسيسكو" ..

فقاطعه "هوجان" قائلا :

- ماذا تريد يا "كوكي" في جرعة من الشراب الجيد تقديمها

لصديقين قديمين مثلنا جف حلقاهما من الهتاف لك ؟ ..

فنفثت "كوكي" دخان سيجارتها ثم نفضت رماها فوق المائدة وهي

تعاود النظر إلى "لوبيين" في نظرة لا تنم عن شيء ولكنه ادرك انها تفكر

في امره .. وأخيرا قالت :

- ربما استطعت ان اجد شيئا من اجلكما ..

ونفضت من مجلسها فتبعها "هوجان" و"لوبيين" ، على حين قال الاول

مفاخرا :

- ألم اقل لك يا "توم" ؟ ..

فغمغم "لوبيين" في احترام :

- إنك رجل عظيم يا "بات" ..

ومضيا وراعاها من باب صغير خلف المقصف ادى بهما إلى المطبخ

.. وكان خاليا إلا من مائدة كبيرة رصت فوقها أرغفة الخبز وشرائح الجبن وبعض اللحم المقدد .. وكان في ركن منه كومة من الصناديق الفارغة ..

وقادتهما 'كوكي' إلى حجرة أخرى داخل المطبخ ، كانت بالغة الضيق، لا تكاد تتسع إلا للمقعدين ومنضدة الكتابة التي كانت كل اثائها .. وكانت 'كاي ناتيللو' تجلس أمام المنضدة وهي تكتب على آلة كتابة قديمة ، باصابع كانها مخالب الدب .

فهتف 'هوجان' في غير كلفة :

- هاللو 'كاي' ! .. كيف حال حبيبتي الليلة ؟ ! ..

بينما قالت لها 'كوكي' :

- لقد حضرنا لنشرب كاسا ، فهلا تكرمت بإحضار بعض الأقداح ؟ ..
فمضت 'كاي' إلى المطبخ ، وعالت تحمل أربعة أقداح فارغة ، على حين أخرجت 'كوكي' من درج المنضدة زجاجة من الشراب ملأى حتى نصفها .. ثم قالت لـ 'كاي' :

- هذا 'توم سيمونز' يا 'كاي' .. وقد رست باخرته أمس فقط وستبحر ثانية يوم الثلاثاء .

- وا أسفاه !!

- إننا جميعا ينبغي أن نعمل أيتها الأنسة .. ثم إن العمل في البحر لذيذ ومسل، ما لم تغرق بنا السفينة ..

وملأت 'كوكي' الأقداح فشربوا جميعا ، على حين سألت 'كاي' :

- وهل ستبحر قريبا بالمثل يا 'بات' ؟ ..

- في الأسبوع القادم .. سنذهب إلى جنوب إفريقيا والهند وسنغافورة ثم نعود ثانية من الطريق نفسها ..

- سوف نشعر بالفراغ الذي ستخلفه بيننا .. وانت يا 'توم' .. هل أنت عائد إلى إنجلترا ؟ ..

- أوه .. لا .. بل إلى 'شنغهاي' من قناة (بنما) .. ثم نعود إلى 'سان فرانسيسكو' ..

وملات "كوكي" كاسها ثانية وجبرعتها دفعة واحدة ، ثم نهضت

قائلة:

- ينبغي أن أترككم الآن للذهاب إلى الملهى ..

ومضت نحو الباب ، ولكنها توقفت كأنما نسيت شيئا واستدارت

قائلة :

- لماذا لا تحضران إلى (القبو) بعد أن تفرغا من هنا !

فربت "جوهان" على ظهرها وهو يهتف :

- مرحى ! لقد كنا سنفعل ذلك حتما ، وسنذهب للهتاف لك هناك ،

ليس كذلك يا "توم" ؟

"صاح "لوبيين" يقلده :

! سنفعل يا "بات" ! .. إننا لم نشبع من غناها بعد ..

ت "كوكي" :

- حسنا .. سوف انتظركما .. وعليك يا "كاي" أن تعتني بهما

وتحضرهما معك.

واستجمعت شتات جسمها ، ثم غادرت الحجرة بسرعة وعملت

"كاي" بنصيحتها فعنيت بهما ..

ولكن "لوبيين" لم يدع نفسه فريسة لهذه العناية البالغة التي

انحصرت ، بعد فراغ زجاجة الشراب ، في المرور على عدة حانات في

الطريق ، واحتساء كاس أو اثنتين في كل منها ..

وكان "هوجان" يزداد ثملا كلما ازداد شرابا ، وراح يغازل "كاي"

ويقول إنها فتاته ، وإن فتاة الرجل الأيرلندي هي قلعته .. وكان "لوبيين"

يتظاهر بالثمل ولكنه كان ينتهز الفرصة ليريق الشراب في أقرب ركن

منه ، أو تحت الموائد .. أما "كاي" فلم يكن يبدو عليها أي أثر للشراب

الذي تناولته ، وكانت تستجيب لمغازلة "هوجان" لها كلما تذكرت أن من

واجبها أن تفعل ذلك .

وبذلك استغرق ذهابهم إلى "قبو كوكي" زمنا طويلا .. ولكنهم وصلوا

إليه على أية حال .. وكان كل شيء كعهد "لوبيين" به منذ ليلتين ، ولكنه

كان الليلة من الأبطال الذين يستقر فوقهم النور الكشاف وتحийهم الجماهير .

وكانت "كوكي" تجار باغنية بذيئة لم يسمعا "لوبين" من قبل فقالت له "كاي" مفاخرة :

- إنها من تاليفي !

فقال "لوبين" في احترام وإعجاب :

- ما شاء الله ! .. سلمت يدك !

وقد قلنا إن كل شيء كان كعهد "لوبين" به في الليلتين الماضيتين ، على غير ما كان يتوقع .. فقد كانت "أفالون دكستر" هناك أيضا .

ولكنها لم تكن قد جاءت لتعمل ، بل جلست كاحد المتفرجين ، إلى مائدة في مؤخر القاعة .. وكان يحس بشعور غريب لجلوسه هكذا رقيبا عليها ، دون أن يجول بخاطرها قط أنه هناك ، وعلى الرغم من أن نظراتها العابرة كانت تمر به دون وعي .

وما إن فرغت "كوكي" من أغنيته حتى مضت وسط هتاف المعجبين ، إلى منضدة المقصف حيث كان الساقى قد أعد لها قدحا كبيرا من الشراب جرعته سريعا ، وعادت إلى مائدتها ؟

وكان معها وقتئذ الدكتور "زلمان" .

وبعد أن اتمت التعارف بين الجميع ، قالت للطبيب :

، - إن "توم" سيرحل إلى شنغهاي يوم الثلاثاء ..

وكان "لوبين" يتظاهر بالثمل ، فاضطجع في مقعده ، وبصق بعض الشراب ثم قال في ثقاقل :

- وسوف أرى إن كان ما يقال عن الصين وسحرها صحيحا ..

فقال له "زلمان" في هدوء ، بعد أن تبادل نظرة خفية مع "كوكي" ، لم تفت "لوبين" :

- في وسعي أن أرشدك إلى بعض الأماكن لتذهب إليها لقد قضيت في (شنغهاي) وقتا طيبا قبل الحرب .

وكانت نظراته إلى "لوبين" متفرسة في إمعان شديد ، ولكنه كان

يكسوها بلمحة من العطف والشفقة .. وما لبث "زلمان" أن تناول كاسه والتفت إلى "كوكي" قائلاً :

- على فكرة .. لست أدرك لماذا لا تدعين مستر "هوجان" ومستر "سيمونز" لقضاء بعض الوقت في "لونج أيلاند" ؟ إنهما يستحقان من العناية والرعاية أكثر مما أستطيع أن أقدمه لهما هنا .
فهتفت "كوكي" :

- يا له من رأي عظيم ! .. فماذا تقولان أيها العزيزان ؟ إن لي كوخاً صيفياً على شاطئ الاستحمام في (سوثا مبتون) في ضواحي (نيويورك) .. ثم إننا لا نفتح هذا الملهى في أيام الأحاد عادة ، لذلك أرى أن تاتيا معنا لنسبح في المحيط ثم أعود بكما صباح يوم الاثنين ، دون أن نتكبدنا سنناً واحداً سوف نذهب جميعاً في سيارة الدكتور "زلمان" وسيارتي فور انتهاء العمل الليلة ، وسوف أهيبك لكما صحبة طيبة لمرافقتكما .. فستكون "أفالون دكستر" معنا .

- ٩ -

وغمغم "لوين" برغبته في الخروج لحظة ليقابل رجلاً كان على موعد معه لشراء كلب منه ، ثم غادر الملهى إلى كشك قريب للتليفون فاتصل بالفندق وسأل عن "أفالون" ، فقيل له إنها ليست موجودة وقتئذ وسأله عامل التليفون عما إذا كان يريد أن يترك رسالة لها .. فسأله "لوين" عن موعد عودتها فأجاب :

- لست أدري يا سيدي .. ولكنها تتصل بنا كل نصف الساعة في انتظار رسالة لها .. فهل انت مستر "لوين" ؟

فحبس "لوين" أنفاسه لحظة ، ثم استقر رايه على شيء فقال :

- نعم ..

- لقد كانت تسأل عنك يا سيدي .. فهل يمكنها أن تتصل بك ؟ ..

- أخشى أن يكون ذلك متعذراً الليلة .. ولكن أخبرها أنني ساقابلها غداً .

فلما عاد إلى الملهى ، وجد أنهم اتفقوا على كل شيء من تفاصيل

الرحلة ، وكانوا في انتظار عودته لياخذهم "زلمان" في سيارته الكبيرة.. وقالت "كوكي" :

- اما انا فسابقى حتى يغلق الملهى .. كما ان "افالون" قد تحتاج إلى إحضار بعض لوازمها وسوف أحضرها معي .

فادرك "لوبين" ان "افالون" لا تعلم بأن "زلمان" سوف يكون من اعضاء هذه الرحلة .. وتحقق من ذلك عندما كانوا يهتمون بالانصراف ، إذ مرت بهم في تلك اللحظة عائدة من حجرة الزينة وكانت عيناها شاردتين ، وفي أساريرها مسحة من الكابة والوجوم ..

فتوقف "زلمان" ، وقال لها في تودد :

- طاب مساؤك يا "افالون" ؟

فردت الفتاة تحيته في اقتضاب دون ان تدع له فرصة التحدث إليها إذ مضت في طريقها لا تلوي على شيء .. على حين ظل الدكتور "زلمان" يتبعها بنظراته وقد جمدت أساريره حتى غدا كتمثال من الرخام .

* * *

فلما فتح عينيهِ ثانية ، كانت الأنوار الكاشفة للسيارة لا تزال تخترق الظلام .. فاشعل لفافة ، وعندئذ قال "زلمان" :

- لقد اقتربنا من وجهتنا ..

ولم تمض برهة حتى بدت للعيان منازل "سوثامبتون" الصغيرة ، وقد هجعت في سكون الليل .

وبعد قليل استقرت بهم السيارة امام احد الاكواخ المتناثرة على الشاطئ .. ولكنه لم يكن كوخا صغيرا كما دعتة "كوكي" في تواضع ، وإنما كان منزلا متوسط الحجم ذا طابقين ، فتحه "زلمان" بمفتاح معه وإضاء النور ، فولجوا إلى بهو متوسط السعة في احد أركانه درج خشبي يؤدي إلى الطابق الأعلى .. ومضوا بعدئذ إلى قاعة استقبال فسيحة لا تقل في السعة عن (قبو كوكي) نفسه ، ذات نوافذ واسعة منخفضة على الطراز الفرنسي تطل على البحر ، وأرائك وثيرة كبيرة

واذاح "زلمان" مرأتين كبيرتين عن أحد الجدران ، فانزلقتا بداخله ، وكشفتا عن (بار) أنيق ذي ثلاثة مقاعد عالية ، ورف رصت فوقه زجاجات من الشراب مختلفة الأنواع .. فدخل "زلمان" خلف المنضدة وهو يقول :

- ماذا تقولون في كاس من الشراب ؟

فصاح "هوجان" :

- يقينا يا دكتور ! .. لا ريب أن هذا ما كنت تحاول النطق به عندما

كنت نائما أحلم بقناة السويس في اثناء مجيئنا

وعندئذ قالت "كاي" :

- سوف انهب لاحضر لكما بعض قطع من الثلج .

قال "هوجان" :

- وسأذهب معك لمساعدتك .

وخربجا معا ، بينما جلس "لوبين" على أحد المقاعد امام المقصف ، واسند مرفقه إلى المنضدة وهو يرفع قبعته الرثة إلى الورا .. ووضع "زلمان" بعض الاكواب امامه ، ثم انتقى زجاجة من الشراب المعتق وراح يصبه فيها .. وما لبث أن قال في بساطة :

- هل أنت مع "باتريك" في نفس السفينة ؟

- كلا .. لقد تقابلنا في "مورمانسك" .

- بالتأكيد .. كان ينبغي أن اذكر ذلك .. وهو ذاهب إلى (سنغافورة)

وانت إلى (شنغهاي) ..

- تماما يا سيدي ..

- هل تعرف "باتريك" منذ مدة طويلة ؟

- منذ الحرب الماضية فقط .. وكان ذلك في (مورمانسك) .

- ولم تره حتى التقيتما في مقصف "كوكي" الليلة ؟

- بالضبط .. وقد قلت له إنني رأيته من قبل .. فقال لي إنه رأي من

قبل .. و..

ومضى "لوبين" على هذا النحو من الاقوال التي يبدو فيها اشتداد

الثلث به ..

بينما كان "زلمان" منهمكا في إعداد الشراب .

وعاد "باتريك" و"كاي ناتيلو" بعد قليل يحملان الثلج ، فمضت ساعة او نحوها و"لوبين" يثرثر مع الدكتور "زلمان" على حين جلس "باتريك" و"كاي" على الأريكة الأولى يغني بصوته الأجش أغنية (هل جاءت والدتك من أيرلندا ؟) بينما استندت المرأة رأسها إلى كتفه ومضت ترشف قطرات من كأسها حتى لا تملأه ثانية ، وقد ارتسمت في محياها سمة شريرة لا تناسب المجال ..

وما إن مضت ساعة حتى وقفت سيارة أمام الباب ، ثم سمع وقع أقدام ودخلت "كوكي" تتبعها "أفالون دكستر" ، ثم "فرديناند بيرفيلد" .. ولكن "لوبين" لم يبال حتى بالنظر إليه ، وركز نظراته على "أفالون" .

والقت الفتاة نظرة سريعة على الحاضرين ، فلما رأت "زلمان" بدا عليها الوجوم والضيق لحظة خاطفة بحيث لم يلحظ أحد هذه الحالة سوى "لوبين" الذي كان يتفرس فيها مترقبا ما يبدو في أساريرها عند رؤية "زلمان" ، حتى يتبين إن كان وجوده مفاجأة لها حقا .

ولوحت "أفالون" بيدها محيية ، ثم ألقت بنفسها على الأريكة بجوار "باتريك هوجان" و"كاي ناتيلو" وراحت تثرثر مع "هوجان" عن النوادي الليلية والأغاني.

وملا "زلمان" قدهما أحدهما لـ "كوكي" ثم مضى بالآخر نحو "أفالون" فقدمه إليها وجلس على مسند الأريكة بجوارها وهو يقول في تودد :
- أما وقد اجتمعنا كضيوف هنا فهلا تركنا الخصام وتصافينا ؟
فنظرت إليه "أفالون" قائلة في صوت خافت :

- لقد دفعت إلى الحضور دفعا . ومع ذلك فسوف أدع خصامك واصفح عنك إذا ابتعدت عن نراعي ..

ثم استدارت لتستأنف حديثها مع "هوجان" عن الأغاني . وكان "لوبين" قد سمع ما قالته للطبيب إذ كان قد أرفف سمعه لحديثهما ، وعندئذ مضى إلى ما وراء منضدة البار وملا لنفسه قدحا كبيرا من

الشراب المعتق .

فلما نظر نحو "زلمان" ثانية وجده واقفا مع "كوكي" وعلى فمه تلك
الابتسامة الخالدة .. على حين كان "باتريك" يبين لـ "أفالون" كيف تغني
أغنية (عندما تبتسم العيون الإيرلندية) وكان "زلمان" يقول :
- إن الغد موعد مناسب تماما .
فاجابته "كوكي" :

- بل لا يزال امامنا متسع من الوقت .

ثم سارا معا نحو (البار) .. وفي الوقت نفسه كان مستر "بيرفيلد"
يتسكع في الحجرة وقد بدا عليه الامتعاض لان أحدا لم يبد أي تقدير
نحوه أو يحتفي به ، ولأنه كان يحس نفورا واشمئزازا حيال "هوجان"
و"لوبين" :

وكان يرمقهما في ازراء ..

وعاد الدكتور "زلمان" خلف البار ، فاتكا عليه ، وبدا يقول لـ
"لوبين" :

- إنني يا مستر "سيمونز" ، في دراستي المختلفة للنفس البشرية ،
لم أجد شيئا يسحرني ويملك علي حواسي مثل نفسية البحارة
والملاحين .. ولا ريب أنك سمعت ما يقال عنهم وعن (فتاة كل ميناء) و
وماذا نفعل بالملاح الثمل ؟) وغير ذلك من الأقوال التي ترمز إلى
نفسياتهم المرحية وتركهم لنفوسهم على سجيتهما وكل ذلك بسبب
إقامتهم في البحر ذلك الذي كان يغطي سطح الأرض كلها يوما من الأيام
والذي خرج منه أجدادنا الأولون ليزحفوا على اليابسة وينشئوا
الحياة البدائية الأولى التي نعمل نحن على توسيعها وتكبيرها .

وكان "لوبين" يرمقه في إعجاب وتقدير وقد بدت عليه علائم عدم فهم
ما يقول ، بينما كانت "كوكي" تصب لنفسها كاسا أخرى وتقول لـ
"بيرفيلد" :

- بالله عليك لا تفسد علينا متعتنا الليلة يا "فردى" وتناول بعض
الشراب ثم امضى لترى هل أعددت الأسرة للضيوف ؟ .

وكان "زلمان" قد استأنف حديثه مع "لوبين" ، فقال :

- ولناخذ حالتك مثلا يا "توم" .. فعندما تصل إلى "شنغهاي" ..

ولكنه قطع حديثه إذ انبعثت ضجة عالية نشأت من سقوط قدحين وبعض الصحاف على الأرض وتحطيمهما عندما دفع "هوجان" الخوان الذي كان امامه وهو يهم بالوقوف قائلا في صوت عال :

- إنني أريد الذهاب إلى دورة المياه ..

قالت "كاي" كأنما تلقي درسا محفوظا :

- الباب الثاني إلى اليمين في البهو .

ولكن "هوجان" عاد يصيح وكأنه يتحدى العالم بأسره :

- انني منذ ولدت أعلم أن دورة مياه البحار هي البحر .. وما كان يفعله "نلسن" سوف أفعله أنا .

واستدار نحو النافذة العريضة المنخفضة فجنب ستارها وراح يناضل في سبيل فتح مصراعها .. فتقدم "بيرفيلد" لمساعدته ، ثم هبط إلى الحديقة ورائه واستأنف "زلمان" حديثه لـ "لوبين" فقال :

- فعندما تذهب إلى (شنغهاي) ، سيكون همك أن تشرب حتى تئمل ، وأن تجد فتاة تسمر معها .. هل ذهبت إلى (شنغهاي) قبل ذلك ؟ ..

- كلا .. إنها سوف تكون المرة الأولى .. ولا تنس أنك وعدتني بإرشادي إلى بعض العناوين ..

- لم أنس ذلك .. ولوانني أخشى أن يكون معظمها قد تغير منذ الحرب .. ولكنني سوف أجعلك تتصل بصديق لي سيتولى العناية بامرك .. وإنني أعلم أنك سوف تجده ، إذ جاءتني أخبار منه أخيرا ..

- وهل يعرف جميع العناوين هناك ؟ .. أعني الأماكن المسلية ؟ ..

- إنه يعرفها جميعا .. وهو رجل ظريف اعتاد أن يبعث إلي ببعض التحف الفنية لمجموعتي .. والواقع إنه ربما أمكنك أن تحضر إلي بعضا منها معك عند عودتك ، فقد كتب لي أن لديه أشياء كثيرة من أجلي لو اتاحت له وسيلة إرسالها...

وتناول "لوبين" كأسا أخرى بينما كان يتدبر الأمر ويفكر فيما ينبغي

أن يقوله أو يفعله .. واخيرا قال :

- ولماذا لا يرسلها إليك بالبريد ؟

- ربما بدا لك الأمر سخيفا ولكن الواقع انه لا تزال القيود شديدة على استيراد العاديات ..

فغمز "لوبيين" بعينه ، وقال :

- إذن فهو تهريب محمود الأثر ؟ .. حسنا يا رئيسي .. إن "توم سيمونز" رجلك الذي تستطيع الاعتماد عليه .. ولتسقط اللعنة على الجمارك ، كما كنت أقول دائما ..

وراح "زلمان" يتامله في إمعان قبل أن يفتح فمه ويهم باستئناف الحديث ..

ولكن لم يتسع له الوقت لذلك إذ انبعثت ضجة عالية من ناحية النافذة ، وانفرج الستار عن "فرديناند بيرفيلد" وهو يخطو إلى الحجرة وقد تمزقت سترته وقمصينه ، وراح يصيح كطفل صغير يشكو لأمه ، وهو يقول - "كوكي" :

-- كوكي إن ذلك الرجل الفظيع كاد يقتلني .. لقد مزق لي ثيابي .. وتلا ذلك دخول "باتريك هوجان" ، قبل أن يستطيع أحد أن يقول شيئا . وكان يزار قائلا في مرح :

- يقينا لقد كنت انتظر هذه الفرصة ..

ومضى نحو البار ، فوضع يده اليسرى على منكب "لوبيين" وأداره قليلا وهو يستطرد :

- وانت يا "توم" يا بني . إنك لست بصديقي إذا سمحت له بالخروج ورائي .. وإذا كنت تعد ذلك دعابة منك فهاك جزاؤك ..

وقبل أن يدرك "لوبيين" ما يتهدده ، رفع "هوجان" قبضة يده اليمنى وهوى بها في لكمة عنيفة أصابت فكه ، فسقط عن مقعده ، وتراعت أمام ناظريه أضواء ملونة ساطعة ، تلاها ظلام دامس إذ غاب عن الوعي ..

افاق "لوبيين" من سباته تدريجيا وهو يبذل جهدا خارقا كانما ينتشل عقله وحواسه من هوة عميقة القرار .. وعلى الرغم من انه كان يعرف انه قد صرع بضربة قاضية إلا انه كان لديه الكثير من الأشياء التي ينبغي أن يستجمع حواسه تماما قبل أن يتذكرها ..

ولم يفتح عينيه للتو إذ أحس بالم شديد بين صدغيه جعله يقطب حاجبيه ويسكن مكانه بلا حراك .. ومن عجب انه فقد الشعور كثيرا من قبل ، ولكن لم يسبق له أن خر صريعا وغاب عن الوعي من لكمة باليد المجردة ، وإنما عندما كان يصاب من آلات صلبة بأيدي أعدائه .. ومهما يكن من أمر فلم تكن غشيته لتطول ولم تكن إفاقته ليصحبها هذا الصداع العنيف إلا عندما يدس له المخدر في الشراب ، فيحس بالأعراض التي يحس بها الآن..

وعاد يفكر في انه الليلة لا يحمل سلاحا على عادته كلما خرج لمغامرة .. ولكن الذي يهمة الآن هو أن يستوثق من انه لا يزال يرتمي ثياب تنكره ..

ولعل الشك الوحيد الذي كان يراوده هو في بقاء شعره على ما كان عليه من الشيب الزائف إذ كان قد رشه بمسحوق الرش الناعم .. اما دهان وجهه ولصوق شاربه فقد كان واثقا من بقائهما على حالهما إذ صنعهما من مواد لا تؤثر فيها المياه ..

وبعد لحظة أدرك لماذا سبج تفكيره إلى هذه الوجهة بالذات ، فقد كان هناك شخص يجلس بجواره ويرطب وجهه بمنشفة مبللة ، ويهز كتفيه في رفق .. بل لقد كان يهتف به في همس رقيق :

- "توم ! .. توم !" ..

وكان الصوت مالوفا لديه .. فحاول أن يفتح عينيه ، ولكنه ما إن فعل حتى أدرك انه ليس ثمة أي تغيير .. ترى هل أصابه العمى ؟

وعاد الهمس الرقيق يردد :

- توم .. استيقظ ! ..

فغمغم "لوبيين" في نبرات النعاس :

- "أفالون" يا حبيبتي ! ..

وعندئذ أحس بوجه ناعم يلامس وجهه ويتمسح على وجنتيه
وشفتان تلتصقان بفمه ، وذراعان حانيتان تضغطان على جسمه
الساكن .. وبالصوت الرقيق يهمس في لهفة :

- "لوبيين" .. حبيبي "لوبيين" .. افق يا عزيزي .. استيقظ .. ويلاه !
يالي من غبية ! كيف لم اعرفك ؟ ..

وافاق "لوبيين" تماما .. وغمغم قائلاً :

- "أفالون" ! .. لقد تركت لك رسالة تليفونية أنني سوف أراك في
الغد.. ولا ريب أن الغد قد حل الآن .. ولكنني لا أستطيع رؤيتك .. اليس
ذلك سخيفاً ؟ ..

- لقد أطفأت النور ثانية حتى لا يبدو من أسفل الباب ..
ولكن كوكي" توسلت إلي أن أفعل ، بعد أن اعتذرت لي في حرارة ..

و..

- أنكري لي ما حدث تماما ..

- بعد أن أصابك "باتريك" وصرعك قالت "كوكي" إنك لم ترسل
"فريماند" خلفه ، بل هو الذي تبعه من تلقاء نفسه ، أو إنها هي التي
أرسلته .. فتالم "باتريك" لخطئه كثيراً .. ومن ثم وضعناك في الفراش
وانفض الجميع بعد أن قال الدكتور "زلمان" إنك ستنام طويلاً ..

- ولكنني لم أنم قط من لظمة تصيبيني ..

- إن "باتريك" رجل قوي .. فقد حملك وارتقى بك الدرج بمفرده ..
- ليس لقوته شأن في الأمر .. ولا ريب أنني تناولت مخدراً ، فقد
كان "زلمان" هو الذي يملأ الأقداح ، ومن المحقق أنه وضع لي شيئاً
فيها ولكنني أفيق الآن .. ولو أن "زلمان" كان يعتقد أنني سأنام طويلاً ..
- وهل أفقت تماماً ؟ ..

- إنني لم أتمل البتة الليلة يا بنيتي ، مهما بدا علي من اشتداد
الشراب بي ..

- ولكنك لن تستطع النهوض الآن ؟ ..
 - من قال ذلك ؟ .. اصغي إلي .. لقد كنت ترطبين وجهي بمنشفة
 مبللة ، فمن أين حصلت على الماء ؟ ..
 - إن المغسل هنا في ركن الحجرة ..
 - خذيني إليه إذن ..
 فقادته الفتاة في الظلام إلى المغسل حيث راح يريق الماء فوق رأسه
 وهو يحاذر حتى لا يند عنه أي صوت .. وما لبث أن أحس بقوته
 وصفاء ذهنه يعودان إليه .. فقال :
 - إنني على ما يرام الآن يا "أفالون" .. فأخبريني ..
 - بل نبئني أولا كيف فعلت ذلك ، ولماذا تنكرت هكذا ؟ . وما الذي
 جئت تفعله هنا ؟
 - لقد ابتعت ثيابا قديمة لأحد البحارة ، وجئت إلى هنا لأنني دعيت
 إلى الحضور .. ولكن الأهم هو أن تخبريني لماذا كنت تحاولين إيقاظي
 في هذا الوقت المتأخر من الليل ؟ ..
 فأجابته في هدوء :
 - لقد كنت خائفة ! ..
 وكان يحس بتصلب جسمها بجانبه ، وتوتر أصابعها في يده ،
 وهي تستطرد - وقد انتابني الجزع عندما رايت "زلمان" ، فلم يقل لي
 أحد شيئا عنه ، مما يدل على أنهم تعمدوا إخفاء وجوده عني .. ولم
 أبال بالأمر أولا ، فما يستطيع "زلمان" أن ينالني بسوء في أثناء
 وجودكم هنا ولو أنك "وباتريك" كنتما ضيفين ولن تتدخلوا في شؤوننا
 الخاصة .. فلما رايت "باتريك" يصرك لغير ما سبب ، عاوني الفرع ..
 حتى إذا ما أويت إلى فراشي ، لم أطق النوم ورحت أفكر في الأمر مليا
 وظللت مسهدة أرهف السمع ، فتبينت أن الباقيين لن يناموا بعد ذلك ،
 إذ كنت لا أفتأ أسمع أصواتا غريبة خافتة .. ولكن أحدا لم يدن من
 حجرتي ، ولم يحاول اقتحامها ، ولو أنني كنت قد حرصت على
 إيصاها وكانت الأصوات التي أسمعها تبدو لي غريبة حقا ، كانما

يحاول اصحابها إخفاءها عن السمع .. فلما اشتدت بي الهواجس واستبد بي الذعر شعرت بحاجتي إلى شخص اتحدث إليه ، ولم أجد خيرا منك أو من "باتريك" .. ولم أكن أعرف ما يمكن أن أقوله لك عندما حضرت إلى هنا ، ولكن لم أفكر في شيء من ذلك .. فلما جئت واضأت النور وتبينت أن "باتريك" ليس في فراشه ، وأنتك ملقي كالجثة الهامدة لا رجاء في استيقاظك كما قال "زلمان" ، جن جنوني وكدت أصيح من فرط الرعب ..

وكان "لوبين" يحيطها بذراعه ويضمها إليه ، على حين كانت يده الأخرى موضوعة فوق فخذه ، فأحس بشيء معدني حاد الزوايا تحت يده ، وما لبث أن مد يده إلى جيب سرواله ليحاول أن يتبين كنه هذا الشيء في أثناء حديثه مع "أفالون" ، ثم قال :

- ينبغي أن أخبرك بشيء أو اثنين يا عزيزتي ، على أن أقص التفاصيل عليك فيما بعد إذا اتسع لنا الوقت .. فنحن الآن في موقف ترخص فيه الحياة البشرية حتى تغدو أقل من التراب ، فأصغي إلي ولا تقاطعيني ..

وتمهل لحظة قبل أن يتابع حديثه فيقول :

- إن العلاقة بين رقم ٩٠٣ بـ "بابلنج رود" بـ "شنغهاي" ، وبين المرفأ والميناء في نيويورك ليست مبينة في أية خريطة بحرية ، ولكني ساوضحها لك بأن أقص عليك قصة صغيرة .. فيحكى أن رجلا ولنسمه مثلا الدكتور "زلمان" ، خطرت له فكرة بادية البساطة .. هي أنه إذا استطاع أن يزود شخصا ما بالمخدرات ، استطاع أن يجعل منه آلة يسيرها كيفما شاء .. وكانت الحرب قد قضت على تهريب المخدرات قضاء مبرما ، إلا أن إحياء هذه التجارة كان متوقعا منذ أن غدت (هيروشيما) من الذكريات التاريخية .. وبذلك بدأت الصلة بين (شنغهاي) و(نيويورك) .. وكان الآفيون موجودا بوفرة في الشرق وقد خزنه تجاره في انتظار انتهاء الحرب وكانوا يعلمون أن البواخر التجارية سوف تعاود مسيرها وأن الكثير منها يمر بـ "نيويورك" ..

ومن ثم جمع الدكتور "زلمان" حوله زميلا او اثنين واختار مركزا لعمله هنا ، ولنسمه مثلا مقصف (كوكي) حيث يدعى بحارة البواخر التجارية لياكلوا ويشربوا ويستمتعون ما طاب لهم الاستمتاع ، وكل ذلك بلا مقابل . ويقع الاختيار على بعضهم فيدعون للاستزادة من الشراب والطعام والمتعة في قبو (كوكي) حيث يقدمون للدكتور "زلمان"، فيستطيع بخبرته وبراعته كعالم نفسي ان يستشف مواطن الضعف فيهم ولا يلبث ان يقول لبعضهم : ما رايك في ربح بعض المال الحلال ؟ .. إليك مائة دولار على الحساب ، وما عليك عند وصولك إلى شنغهاي إلا ان تقصد إلى رقم ٩٠٣ شارع "بابلنج رود" فتقول (لقد أرسلني جورج ..) ثم تحضر اللفافة التي تعطى إليك وتسلمها إلى مستر "جيمس براتر" مثلا فتتال المزيد من المال ..

ولكن بيع هذه المخدرات وتوزيعها لا يكاد ينتج الأرباح المتوقعة منها بما يكفي المشتركين فيها .. ومن ثم تبدأ العملية الثانية وليس ثمة شخص يستطيع ان يمد مرضاه بالمخدر مثل الطبيب البارع .. حتى إذا ما وقعوا تحت سلطانه امكنه ان يكتشف او يخلق ما يمكن ان يستخدمه في ابتزاز المال منهم .. وهكذا تنتشر شبكة واسعة من الإجرام تبدأ في "شنغهاي" وتنتهي في عيادة الطبيب مارة بالمقصف والملهى اللذين تديرهما "كوكي" ..

فقالت "أفالون" وهي تلهث دهشة :

- إذن فالامر كذلك ؟ .. إن هذا يفسر لي أشياء كثيرة كنت لا افهمها من قبل وادرك "لوبيين" ان الفتاة صادقة في دهشتها ، وانها لم تكن تعرف شيئا مما يدور حولها .. وفي ذلك الوقت كانت انامله لا تزال تعبث بالجسم المعدني الذي وجده في جيب سرواله دون ان يستطيع معرفته تماما ، فقال :

- هل يمكنك ان تجدي علبة ثقاب يا "أفالون" ؟

وسرعان ما اشعلت الفتاة الثقاب ، وعلى ضوءه رأى "لوبيين" ذلك الشيء وقال: - لا ريب ان "هوجان" قد وضع علامته في جيبي

كمحاولة اخيرة يائسة لطلب النجدة والمعونة .. وهو لم يعرفني قط
كما لم احسب ان يكون "هوجان" احد ضباط هيئة مكافحة التهريب في
مصلحة الضرائب ! ..

* * *

وانطفا عود الثقاب ، فاستطرد "لوبين" :

- ولقد ادركت انه ينتمي إلى إحدى الهيئات الرسمية عندما وجدت
علامته في جيبى منذ قليل .. اما قبل ذلك فقد كنت حائرا في هويته ..
وقد تبينت عندما كنا في المقصف انه يحمل مسدسا في جيبه ، كما
تبينت في مغازلته لـ "كاي ناتيللو" انه يمثل دورا معيناً ، إذ إنها امرأة
لا يمكن ان تكون فتاة احلام البحارة وموضع غزلهم . ولكني كنت
احسبه من افراد العصابة وانه يمثل هذا الدور للتغريب بي ..
- ولكن لماذا صرعت إذا لم يكن منهم ؟ ..

- ليزيحي من الطريق ، إذ لم يعرف شخصيتي . . فقد ادبت دور
الملاح الكهل في براعة لا بأس بها ، ومضيت كأنما احاول استرضاء
"كوكي" و"لرمان" .. واراد "هوجان" ان ينفرد بمهمته في ضبط
العصابة، وخشي أن اكون شديد الثمل بحيث لا اذكر ما اراه او ارفض
اداء الشهادة معه ، ولذلك افتعل هذه المسرحية البارعة ليتخلص مني .
- ولكن أين "هوجان" ما دام ليس في فراشه ؟ ولماذا ترك علامته
معك؟

- إما أن يكون قد فعل ذلك ليرشدني إلى حقيقته فاطبق فمي وأخلد
إلى الصمت ، وإما انه تبين مقدار الخطر الجسيم الذي يقدم عليه ،
فاراد ان يدفعني إلى إبلاغ السلطات إذا ما اصابه شيء .. ومهما يكن
من أمر فسامضني للبحث عنه ..

وأرادت الفتاة أن تثنيه عن عزمه فطمأنها إلى انه قد استعاد قواه
تماما ، وطبع قبله حارة على فمها ، ثم مضى نحو الباب ففتحه ..
وكانت الرهبة معتمة ساكنة لا حياة فيها ، ولكنه ما لبث ان سمع

ضوضاء خافتة تبين فيها همهمة اصوات تتحدث ، وصليلاً معدنيا ينبعث من الطابق الأسفل .. ولم يستطع ان يميز شيئاً محدداً من هذه الضوضاء او كلمة مفهومة من الحديث ولكنها كانت توحى بالرهبة وتنبئ عن اشياء خطيرة تجري في مكان ما بأسفل الكوخ .. اشياء تدفع "لوبيين" إلى المبادرة باكتشافها ، إذ تدل على أن "باتريك هوجان" في ورطة مروعة وخطر داهم ، وأنه فقد مسدسه وإلا لكان للضوضاء مظهر آخر مختلف كل الاختلاف عما هو عليه الآن ..

وكان يتحرك في حذر كالمهر ، وأرهف السمع عندما سمع صوتاً جديداً يطغى على الضوضاء الخافتة .. كان صوت اثنين يتحدثان .. فلما استطاع "لوبيين" أن يركز حواسه في الإصغاء ، تالقت في ذاكرته ومضة خاطفة من الفهم ..

فقد كان أحد الصوتين مماثلاً لذلك الذي سمعه في التليفون عندما سطا على عيادة الدكتور "زلمان" .. وكان صوت "فريديناند بيرفيلد" ..

وأسرع "لوبيين" ، تتبعه "أفالون" نحو الباب الموصل الذي ينبعث من ورائه صوت "فريديناند" والدكتور "زلمان" ، فسمع الأول يقول :

- كلا .. لن أفعّل شيئاً من ذلك .. فهذه مهمتك ويجب أن تتمها يا "أرنست"!.. وقطب "لوبيين" حاجبيه .. فلم تكن نبرات "بيرفيلد" تلك النبرات المخنثة الرقيقة، وإنما كانت الآن صارمة قوية تبدو فيها السلطة والأمر .. ولم تكن تلك النبرات الواهنة الضارعة التي شكا فيها إلى "كوكي" ضرب "هوجان" إياه وتمزيقه ثيابه وإنما كانت الآن نبرات رجل يستطيع أن ينطق بحكم الإعدام على كثيرين ..

وانبثقت أشعة المعرفة في رأس "لوبيين" .. وإذا به يتبين أن زمالة الدكتور "زلمان" و"كوكي" و"كاي ناتيللو" ، وصلتهم جميعاً بـ "سام جفريز" و"جوهيمان" وأضرابهما واشتراكهم مع "جيمس براتر" وغيره ، إنما تشبه خيوط الشبكة التي ينسجها العنكبوت ويربط فيما بينها في دقة وإحكام لقضاء أغراضه ..

وإن ذلك العنكبوت الشرير .. الراس المدبر لهذا كله والذي ينشده
"لوبين" من بادئ الأمر ، إنما هو مستر "فرديناند بيرفيلد" الفنان !
احس "لوبين" باصابع "افالون" تضغط على ذراعه ، وقد تملكته
دهشة طاغية فراح يربت يدها وهو يصغي إلى "بيرفيلد" إذ استطرده
قائلا :

- سوف يكون امرا فظيعا ان نفقدك يا "ارنست" .. ولكنك تعرف
تماما كم تود إدارة المخابرات السرية ان تعلم السر في قدومك من
(فينا) كلاجئ سياسي . وقد أخذتك في حمايتي كل هذا الوقت ،
ولكني لن افعل ذلك إلى الأبد .. فإذا تخليت عن عملك معنا ، وحدث
شيء ..

- إنني لا أريد ان اتخلى عن العمل يا "فرديناند" .. ولكن الوسائل
التي اتبعناها معه لم تؤد إلى نتيجة مثمرة .. وفي ظني انه سوف
يموت قبل ان يخبرنا بما يعرفه ..

وكان الدكتور "زلمان" يقول ذلك في ضراعة ومذلة ، على حين كان
صوت "بيرفيلد" يفيض بالقوة والصرامة إذ اجابه :

- حذار ان يحدث ذلك فإنني أريد معرفة كل ما يعلمه هذا الرجل ..
ولن اشترك معكم .. فإنك تعلم انني لا أطيق رؤية مناظر الدماء
والتعذيب ، وإنما تصيبني بالآم فظيعة ..

- ولكن هذا لم يكن شأنك في حالة "البرت فولي" .. فلم يبد عليك أي
تأثر وقتئذ ..

- أه ! لقد تأثرت تماما .. وعندما طعنته بتلك المديّة ، كاد يغمى
علي ، وكنت أصيح فزعا . ولكنني كنت مضطرا إلى هذا العمل إذ كان
"فولي" يعبث بنا ويسعى لبيعنا ويحاول أن يبتز المال منا بهذا
التهديد .. وكان يجب عليك أنت أن تتولى أمره .. فلما لم تفعل
اضطرت إلى التدخل مكرها ..

- ألا تريد ان تحضر لمساعدتنا الآن ؟ ..

- كل ما في الأمر انني أريد هذه المعلومات في الحال ..

وعندئذ جذب "لوبيين" افالون بعيدا عن الباب وأسرعاً إلى ركن البهو فوقفا ملاصقين للجدار في سكون مطبق حتى غادر الدكتور "زلمان" حجرة "فرديناند" متجها نحو الدرج المؤدي إلى الأسفل دون أن تتجه نظراته ناحيتهما وكان على "لوبيين" أن يسكت "بيرفيلد" أولا ، فمضى نحو الباب وفتحه على مصراعيه .. وكان "فرديناند" يقف في وسط الحجرة مرتديا بيجامة بلون الكريز فتحول ليواجه الداخل وراح ينظر إليه في غير اكتراث ، كما لو كان يتوقع أن يرى "زلمان" عائدا إليه ليعتذر عما فرط منه .. ولكنه إذ رأى "لوبيين" ، ظلت أساريره على جمودها ، بيد أن المفاجأة هزت كيانه هذا وأحس بدبيب الهلع يسري تحت جلده ثم ينبثق من مسامه على هيئة عرق غزير .. وما لبث أن ارتسم الفرع على وجهه الجامد ، ولم يعد يستطيع الحراك من مكانه أو ينبس ببنت شفة ..

واسف "لوبيين" لحالة الفتى ورثى له .. ولكن مستر "بيرفيلد" كان يهدد السلام والهدوء اللذين يحتاجهما "لوبيين" لإتمام مهمته ، ومن ثم تقدم نحوه وقبض على عنقه ، وهو يغمغم :

- ألا تعلم يا "فردى" انه قد حان الوقت لنوم الفتيات الصغيرات ؟ .. ثم رفع قبضته وأهوى بها على فكه وأسرع يتلقاه بين ذراعيه وقد غاب عن الوعي .. ثم نقله إلى الفراش وأوثق يديه وقدميه وثاقا محكما ، وكمم فاه حتى يمنعه من الصياح إذا ما أفاق من غشيته .. وبعد ذلك راح يفتش ثيابه فلم يعثر على أي سلاح بها ، كما لم يجد في الحجرة نفسها شيئا يستحق الذكر .

وغادر "لوبيين" تلك الحجرة ، في طريقه إلى الدرج ، وقد أحس بان الفرع الذي تملك مستر "بيرفيلد" لم يكن بسبب رؤيته له ، فما ينتاب الفرع ذلك الأفعوان لمجرد رؤية "توم سيمونز" الملاح الكهل الثمل ، وإنما لأن هناك شيئا يجري في مكان ما من ذلك المنزل يخشى "بيرفيلد" أن يراه أحد ، شيئا يهدد حياة "باتريك هوجان" بخطر الموت ، إن لم يكن الموت نفسه ..

وبلغ "لوبيين" نهاية الدرج . و"أفالون" معه .. ولو أن الفتاة أرادت النجاة بنفسها لكان ذلك ميسورا لها إذ غدت على قيد ذراعين من باب الخروج .. ولكنها راحت تنظر إلى "لوبيين" في عزم وجراة ، وإن كانت الحيرة واللهفة تخالطان نظراتها الصارمة ..

وكان باب حجرة الاستقبال موصدا .. ولكن الأصوات التي انبعثت خلاله ، كانت واضحة الدلالة على ما يجري بداخلها ..

وابتسم "لوبيين" للفتاة ، وتركها ثم مضى إلى المطبخ وما لبث أن عاد ومعه سكين مقوسة مرهفة النصل ذات مقبض من العاج ، دسها في كمة الأيسر وثنى ذراعه قليلا ليثبتها في مكانها ..
وإذنى فمه من أذن "أفالون" ، وقال بصوت خافت :

- اسرعي بالخروج يا عزيزتي ، وخذي إحدى السيارات وانهبي إلى المدينة لإبلاغ رجال الشرطة وإحضارهم إلى هنا بأسرع ما في وسعك ..وفي خلال ذلك ساقوم بمناوشتهم حتى لا يفر أحدهم ..

ولكنها هزت رأسها نفيا .. وما كان في استطاعته أن يجادلها وقتئذ .. فتركها وهو يرجو أن تغير رأيها ، ومضى نحو باب حجرة الاستقبال فأنحنى لينظر خلال ثقب المفتاح ليتبين الموقف الذي سيواجهه عند دخوله . .

وكان ما راه شيئا رهيبا .. بلغ من هوله أنه جعل الرعدة تسري في أوصال "أرسين لوبيين" نفسه ..

وفي اللحظة نفسها سمع صوت الدكتور "زلمان" يقول في نبراته الرقيقة :

- لماذا لا تتعقل يا "باتريك" وتخبرنا بما تعرفه ؟ .. ألا تعلم أنني سوف أمضي في هذا العمل إلى النهاية حتى تعترف لنا بكل ما عرفته في أثناء تنكرك ؟

واختفت الصورة الصغيرة التي تبدو من ثقب المفتاح ليحل محلها منظر كامل دقيق التفاصيل عندما دفع "لوبيين" الباب على مصراعيه ..
وكان ذلك شيئا لن ينساه "لوبيين" مدى الحياة .. كان منظرا من

مناظر الأساطير التي تروى عن القرون الوسطى ومحاكم التفتيش ..
كان الدكتور "زلمان" يقف منتصب القامة يجلل هامته شعره
الأشيب المهيّب ، وبين أصابعه لفافة لم ينفذ رمادها مما يدل على
رباطة جاشه وهدوء أعصابه .. بينما كان أمامه "باتريك هوجان" مقيد
اليدين والقدمين إلى أحد المقاعد ، وعرق الألام يتصبب من جبينه
ويسيل على عينيه ووجنتيه حتى يختفي بين طيات الكمامة التي
شدت فوق فمه ..

وكانت المرأتان تقفان إلى جانبه ، وقد اختفت الابتسامة التقليدية
من أساريرهما ، وارتسمت محلها بسمة شيطانية مروعة .. ولعل
الأخرى أن تقول الجلادين ، فقد كانت المرأتان تتوليان بنفسيهما
عملية التعذيب الرهيبة ، وقد أمسكت "كاي ناتيلو" بمحرك النار وهو
يتوهج احمرارا من شدة الحرارة ، وتضعه على قدم "باتريك" العارية
فيسمع لنزوله حسيس غريب تفوح على أثره رائحة الجلد المحترق ..
وعندئذ تهتز الكمامة فوق فم "باتريك" وتنبعث من حلقه همهمة تقطع
نياط القلوب .

كما يهتز وجهه كله تحت صفعات "كوكي" المدوية وهي تواليه
الصفعة تلو الأخرى بيدها المكتنزة الثقيلة ..

وسار "لوبين" إلى داخل الحجرة فارغ اليدين ، والسكين مثبتة لصق
ساعده .. فما كاد "زلمان" يراه حتى امتدت يده في عجلة إلى جيبه
الخلفي ، ولكنه ما لبث أن استعادها وقد بدت في محياه علائم
التردد ..

فقد تحول "لوبين" ثانية إلى "توم سيمونز" الثمل المترنح .. وكان
شديد السيطرة على أعصابه حتى لا تخونه في تلك اللحظات الحاسمة
الدقيقة التي كانت أقل حركة خاطئة يأتينا كفيلا بأن تورده و"باتريك
هوجان" موارد الهلاك معا ..

وهتف في تلعثم من فرط السكر :

- هالودكتور! .. ما قولك في كاس أخرى لحسوبك ؟ .

فراى "زلمان" تنفرج اساريه قليلا .. كما راى "كوكي" و"ناتيلو"
تنتظران إليه في جزع وترقب وامل .. وعندئذ قال الطبيب :

- لا ريب أنك قد افقت من جديد يا "توم" .. فقد كنا لا نتوقع ان تفيق
قبل الصباح من فرط ما شربت .. وهانت تستيقظ بينما نهم نحن
بالذهاب إلى الفراش ..

- لقد كنت نائما .. ولكنني افقت على ظما شديد فجئت لأرطب حلقي
ببعض الشراب ..

وتظاهر بأنه يرى "هوجان" للمرة الاولى فتقدم نحوه في تعثر ، وهو
يقول .

- اه ! .. ها هو الوغد الذي صرعني .. الا دعني اذقه بمثل ما
اذاقني . فقال "زلمان" :

- لقد أفرط "باتريك" في الشراب ، وها نحن نحاول أن نحمله إلى
فراشه ..

وكان الطبيب يتحرك في مهارة وخفة ليحول بين "لوبيين" وبين رؤية
الحالة التي كان عليها "هوجان" .. ولكن هذا لا يفتا يتقدم خطوة بعد
أخرى وهو يكاد يسقط على الأرض من شدة الترنح ..

وبغثة رأى الطبيب يتصلب وجهه ، وتلوح في عينيه نظرة رهيبة
وقد استقرتا على شيء معين خلف "لوبيين" .. فأدرك هذا أن "أفالون" لم
تطق الصبر ، وبخلت الحجرة وراءه ..

وتوالت الأحداث في مثل وميض البرق ، فقد أخرج "زلمان" مسدسه
وأطلقه فاصاب "لوبيين" في ذراعه في اللحظة نفسها التي كان هذا فيها
قد شد ساعده وتلقى بيده اليمنى مقبض السكين التي يحملها .. وقبل
أن يتسع وقت "زلمان" ليطلق رصاصة أخرى كان "لوبيين" يدفع السكين
في صدره حيث غاصت حتى المقبض ، ثم يختطف المسدس من يده
المتراخية ، قبل أن يهوي إلى الأرض ..

وهجمت عليه "كاي ناتيلو" وقد شرعت قطعة الحديد المتوهجة في
يدها ، فاضطر إلى أن يطلق على تلك اليد رصاصة من مسدس "زلمان"

جعلت المرأة تصيح في الم بالغ وتسقط الأداة الجهنمية من يدها ..
وفي اللحظة التالية وقبل أن تفيق "كوكي" و"كاي" من ذهولهما كان
لوبيين يامرهما بان يرفعا أيديهما إلى أعلى ، ثم يشير إلى "أفالون"
بان تقطع حبال الستار المسدلة على النافذة ، وتوثق بها قياد المرأتين
الجهنميتين ..

- ١٢ -

وقال "هاملتون" في اسف :
- اما كان في وسعك أن تبقي على حياة "زلمان" حتى ينال
جزاءه؟..

- وهل كان في وسعك أن تمنعه من قتلي ؟ ..إن الدفاع عن النفس امر
مشروع يا صديقي .. ومع ذلك فقد تركت لك في الوكر الأفعوان الاكبر
واثنتين من افاعيه ..

- هذا يكفي الآن .. ويجدر بك أن تغادر المكان ، وسوف اتصل بك في
نيويورك إذ لدي مهمة أخرى من أجلك ..
- هكذا تريد دائما ألا تدع لي فرصة للراحة .. أجل .. سوف اترك
المكان لـ "هوجان" ، فإن فيه الكفاية ..

فلما أعاد مسماع التليفون مكانه ، تحول إلى "باتريك" قائلاً :
- إنها قضيتك أنت يا "باتريك" .. وعلى فكرة ، هل هذا اسمك
الحقيقي ؟ ..

فاوما الضابط المنكود برأسه .. وكان لوبيين قد فعل كل ما يستطيع
في سبيل تخفيف الآلمه ، ولكن وجهه كان شديد الامتقاع .. وما لبث أن
غمغم قائلاً:

- أجل .. "هوجان" هو اسمي الحقيقي .. ولكنك خدعتني تماماً
بتنكرك البارع .. لم أكن أتوقع البتة أن تكون "أرسين لوبيين" عندما
تركت علامتي النحاسية في جيبك ، وإنما كنت كالغريق يتعلق بقشة ،
وخيل إلي أن الأمل لا يعدو واحدا في الألف إذ كنت أحسبك من أولئك
البحارة السكارى الذين تلتقطهم العصابة لتستخدمهم في التهريب

ولعل ذلك كان السبب في استجابتي لك عندما تمسحت بي في المقصف
حتى أستطيع أن أراقب ما تفعله العصاة معك ..
فقهقه "لوبين" في جذل ، وكانت "أفالون" قد فرغت من تضميد الجرح
الذي أصاب ذراعه ، وراحت تعاونه في ارتداء معطفه .
فاحتضنها بيده الأخرى ، وقال - "باتريك" :
- إن رجال البوليس في الطريق إليك الآن ، فلا تقل لهم شيئاً عني ..
وإنك لرجل شجاع يا "هوجان" .. ويسعدني أن عرفتك ..
وفي لهجة البحار الثمل ، استطرد يقول :
- يقينا يا بني أننا سنلتقي مرة أخرى .. ربما في "مورمانسك" .

تمت بحمد الله